أزمَةُ البَلاغَةِ العَربيَّة في ضَوءِ رهَانات الحَداثَة ، كُشوفَاتٌ نَقديَّة

م.د. هدى صيهود زرزور العمري

دائرةُ التّعليم الدّينيّ والدِّراسات الإسلاميّة – ديوانُ الوقفِ السُّنّيّ

hudasuhood19731973.com@aol.com

المُلخّص :

يهدفُ البَحثُ المَوسُوم ب" أزمَةِ البَلاغةِ العَربيَّةِ في ضَوءِ رِهَانَاتِ الحَداثَةِ ، كُشوفاتٌ نَقديّةٌ " إلى تَقديمِ رُؤيةٍ شموليّةٍ لإفرزاتِ الحَداثةِ في الدِّراساتِ البَلاغيّةِ العَربيّةِ ضِمنَ مَشهدٍ بَانُوراميّ لِواقعِ حالِ البلاغةِ ، ومُجمَلِ التّغيّرات التي طَرأت عَلى عُلومِها في منظومتها الثّلاثيّة (المَعَاني ، البَيَان ، البَديع) ، كَمَا يُسَلِطُ البَحثُ الضّوءَ عَلى تَجلّياتِ غِيابِ التَّحديدِ الدَّقيقِ للتَّوصِيفَاتِ المُتعدّدةِ ودَلالاتِها الضّمنية التي اكتنفَها الغُموضُ عِندَ اطلاقِ تَسميات اصطلاحيّة عَلى طُروحاتِ البلاغة العربية مِمّا شَكّلَ أزمةً لَم يَستوعِبهَا الوَعيُ العَربيّ في مُحيطِهِ العَام ، واستَنَدَ البَحثُ إلى مَنظومَةٍ استكشافيّة قِرائيّةٍ نَقدية تَستعرِضُ أبرزَ القِراءاتِ الحَديثةِ والمُعاصرةِ الرَّاصِدةِ لمُنجزاتِ البَلاغة العَربيّة في وَاقِعها الحَالي ، وَمَا تُعانيهِ مِن إشكَالياتٍ مُتراكِمة تَعرّضت لهَا البَلاغة ، أبرَزهَا : الاهتمام بالتّقعيدِ والتّقسيمِ ، النّزوع المَنطقِيّ وجَفاف اللّغة ، اختِزالُ الثّوابِتِ وتَفريغُ الأصولِ ، جُمُود الجَّانب العَاطفي وتَطويعه لِخدمةِ الشَّكلِ ، وتبنّي مَقُولاتِ البَلاغيين المُتقدمِين نَظريًّا ، وَتَجَاوز حُدود التّطبيقِ . ويتعَقّبُ البَحثَ أبعادَ تلكَ التّحولات التي شكّلت مُنعَطَفًا فِكريًّا في مَسارِ الخِطاب البلاغيّ العربيّ في عَصرِ التَّواصلِ اللّغويّ والفكريّ بينَ ثقافاتِ الأُمم ، عبرَ منهجِهِ الوصفيّ التحليليّ ، مُتوصّلاً في ختام رحلتهِ الكَشفية إلى أن دَعوات التّجديد لاتتعارضُ معَ الحِفاظِ عَلى هُويّةِ البَلاغةِ العَربيّة ، وما وسِمت به من تنويعاتٍ وتمثّلاتٍ للحَداثةِ ليسَت موتًا ولا خرقًا – بالمعنى الدّارجِ – للتراثِ ؛ بَلْ الواقع أنّ البلاغةَ القديمة قد بُنيتْ بمنظورٍ تصنيفيّ خالص ، ووقفت مُحاولتُها عندَ وضعِ المَعالمِ وتسميةِ وترتيبِ الأصنافِ المُختلفةِ من الانزِياحَاتِ . كانت تلك المَهمّة مُملةً ؛ ولكنّها ضَروريّة ، فمِن هُنا ابتدأتِ العُلومُ جميعها ؛ لكنَّ البلاغة توقفت عند هذه الخُطوة ، وأسّسَ هذا التّوقف مرتكَزًا لبدايةِ أزمةٍ حقيقية في ضَوءِ الظروفِ الرّاهنةِ التي تَمخّضَت عَنها أنماطُ وافرازات الحَداثةِ وَمَا بَعدَهَا .

– **الكلماتُ المفتاحيّة** : (أزمَة ، البَلاغَة ، العَربيَّة ، رِهَانَات ، الحَداثَة ، كُشُوفَاتٌ ، قِراءات ،نَقديّة).

The Crisis of Arabic Rhetoric in the Light of the Challenges of Modernity, Critical Revelations

Dr. Huda Saihood Zarzoor Al- Omari
Sunni Endowment Diwan \ Department of Religious Education and Islamic Studies

Abstract:
Arabic in its current situation, and the accumulated problems it suffers from, the most prominent of which are: interest in division and division, logical inclination and dryness of language, reduction of constants and branching of origins, stagnation of the a For my passion and adapting it to serve the form, adopting the arguments of the theoretically advanced rhetoricians, and exceeding the limits of application.
Representations of modernity are neither death nor breach - in the usual sense - of heritage. Rather, the reality is that the ancient rhetoric was built from a purely taxonomic perspective, and its attempt stopped at setting landmarks, naming and arranging the different types of displacements. That task was boring; But it is necessary, and from here all sciences began; But rhetoric stopped at this step, and established this stop as a basis for the beginning of a real crisis in light of the current conditions that resulted in the patterns and secretions of modernity and beyond
Keywords:(crisis, rhetoric, Arabic, bets, modernity, statements, readings, criticism).

المُقدِّمَة :

الحَمدُ للهِ حَمدَ الشّاكرين ، والصلاةُ والسّلامُ على المبعوثِ رَحمةً للعَالمين ، سيدنا مُحمدٍ الصادقِ الأمين ، وعلى آلهِ المُنتجبين ، وصَحبهِ والتّابعينَ إلى يومِ الدِّين .

وبعدُ :

فإنَّ البلاغةَ العربيّة وليدةُ عَصرِها ، وصَنعةُ العربِ الأولى ، تجذّرت في مدوّناتهم منذُ النشأةِ الفطرية ، وأمتزجت بأعظم الكتبِ السّماوية ، وبالبَيانِ النّبويّ ، مُخلصةً لجذورها وأصولها ومقاصِدها ، بعد أنْ أيْنَعتْ عَلى يَدِ الإمَامِ عبدالقاهرِ الجُرجانيّ ، واستوَتْ

على سُوقها تُعجب الزرَّاع ، ما لَبِثت أن استقرَّت في يَدِ عُلماءِ الكلام والفلسفة والمنطق ، فحوَّلوها إلى تعاريفَ وتقاسيمَ محورها الجّدَل العَقيم ، وهي بفرادتها وتميُّزها لاتخشى الانفتاحَ والتلاقحَ الثقافي معَ علومِ عصرِها ، ولا تجدُ حَرَجًا في تحديثِ رؤاها ، ومدِّ جسورِ ماضيها بحاضرها ، وتجديدِ مناهجها ، وهذا لايعني الانسلاخ من هويتها العربية ، ولا خرقًا لمعاييرها وأسس تشكُّلها ، بقدرِ مايؤكّد فاعليتها على إحداث تغيّرات جذريّة في مقولاتها واستراتيجياتها المعرفية ؛ لاسيّما ذات الصّلة الوثيقة بها ، كالأسلوبيّة ، والسيميائية ، والجمالية ، واللسانيّة ، وعلم النّص . فكان من الطبيعيّ أن تشهدَ تطوّرًا ملحوظًا رافقَ عصرَ الثورات العلمية في مختلفِ مجالاتِ المعرفة متحررةً من قيود المعياريّة الصارمة التي فرضتها النسقية الميتافيزيقية المنطقية لكُلّ أنواعِ الخطابات . وتأسيسًا على ماسبق يقترحُ البحث مسارًا مختلفًا لمشاريع قِراءة البلاغة العربيّة ذات الكشوفات النقديّة ، مِن خلال الارتكاز على أرضية معرفيّة تنشأ من وضعٍ تواصليّ ناتج عن استجابات الرّاهن ، وإدراك جليٍّ لأزمة البلاغة سَواء على مستوى إنتاجيتها المعرفية ، أم على مستوى التعامل بها إجرائيًّا ، وهنا نرصدُ ماتعرضتُ لهُ من حملاتِ تشويهٍ مُغرضة ، وتَجَنٍّ خطير ، توشّحَ بدعوات الإصلاحِ والتّجديد ، لِنصلَ إلى نتيجةً مفادُها أن البلاغة العربية تتغلغلُ في مجمل الأنشطة التّواصليّة حتى تكاد تتحول إلى علمِ العلومِ والمعارفِ كُلِّها ، وماتزالُ هناك حقول كثيرة لم تحظَ بالاهتمام الأكاديمي الذي يليقُ بها .

أثارت الحَداثة بوصفها مشروعًا جديدًا يؤطّرُ مفاهيمَ تفسيرية عميقة لاحصرَ لها ، تتمازُ بالمُغايرةِ والعدولِ عن جميعِ المفاهيم التي عرفها التُّراث مُجتمعةً لا فُرادى ،موجةً من الاشكاليات اللامتناهية تعكِسُ تصورًا جديدًا لِنقدٍ شاملٍ للفكرِ الوضعيّ الذي سادَ العلومَ والمَعارِف في حركيّةٍ شديدة التّعقيد ترمي إلى التّجديدِ وانتاجِ نماذجَ ذاتَ نزوعٍ

تصنيفيّ لم يكن له سابِقُ طرحٍ ، أو صياغة أنساق معرفية تشملُ جميع المناهجِ والمذاهبِ والاتجاهات والنّظريات القابلة للتّأويلِ المُستمرِ ، والتّأطير المُتحوّل وفقًا لتنوّعِ القراءاتِ ، والحَداثةُ التي ننشُدُها هي : الحَداثةُ العربيّة القائمة على الرؤية الشّاملة والأصالة الصريحة والطموح الواسع ؛ لأنّها تؤمن بالحياة وتجددّها وتستمد أصولها من واقع الأُمة وتتفتح على الحضارة الإنسانية وتقتبس منها ما يُلائِمها وهي مستمرة لا تقف عند مرحلةٍ ، وإنّما هي سُنّة الحياة فلا حُدود لانطلاقتها المعقولة ، ولا زمن لمسيرتِها الظاهرة ولا سمات ثابتة لها ، إنَّها هُويّة الأصيل ، واستشراق المستقبِلِ ، تسعى إلى صناعةِ وتحويلِ مشروعِ المعرفة من حقلهِ التّنظيريّ المُختزل إلى تخومِ التّشكّلات الجّارية مجرى الدّوال المُتعددة الوجهات ، مبتعِدةً عن كونها مفهومات جاهزة تُستقى من هنا وهناك ؛ بل هي حداثةُ رُوحٍ وحداثةُ نظرٍ وحَداثةُ تجربةٍ ، إنّها أُفقٌ مَفتوحٌ لا تحدّهُ مَفهوماتٌ قطعية ثابتةٌ ولا أفكارٌ أُحاديةُ الجّانبِ ، ولا صراعاتٌ مُؤقتة عابرةٌ ، إنّها تَجرِبةٌ حيةٌ للنِقاشِ ، مِحورُها سُؤالٌ داخليّ مُغلقٌ يوضعُ أمامَ ذلكَ الأُفقِ الواسِع .

تَلمّسَ البحثُ بعضًا من كُشوفَات حركة الحداثة المُتَبلورة في متونِ البلاغة العربية ، المدعومةِ بكوكبةٍ من القراءات الثقافية (البلاغيّة والنّقدية) ، الاسترجاعِيّة ، والاستنتاجيّة ، والاستحضاريّة ، التي مثّلتها النُّخب الفكريّة والنّقدية من بلاغيّنا ونُقادِنا الروّاد ، أمثال : د.حمادِي صمود ، د.محمد عبد المُطّلب ، د.عبد السّلام المسدّيّ ، د.صلاح فضل ، د.محمد مِشبال ، د.جابر عُصفور ، د.محمد العُمريِّ ، علي البطل ، مصطفى ناصف ، سعد مصلوح ، محمد الوليّ ، د.شُكري عيّاد ، عبد الله صولة ، د.عبد القادر القط ، د.مُنذر عَياشي ، د.شُكري الطّوانسي ، محمد مفتاح ، د.حبيب مُونسي ، د.عبد الفتاح كليطو ، د. محمد بركات حمدي أبو علي ، محمد بينيس ، د.عبد الملك مُرتاض ، د.عبد الله الغذامي ، د.سامي مهدي ، د.فاضل ثامر ، د.عيد بلبع ، وغيرهم

مِن الرّواد الّذينَ بَعثُوا رُوحًا جَدِيدَةً في جَسَدِ البَلاغِة العَربيّةِ ، وَوَصَلوا مَاضِيهَا بِحَاضِرِهَا ، مُتَجَاوزِينَ الفِهمَ الضَّيّقِ للبَلاغةِ باستحضَارِ مَظَاهر المُعاصرة ، والانفتاحِ عَلى حَركةِ التّاريخ ، والعلوم ، والمعارف ، مُنخرطينَ في نِقاشَاتٍ عِلميّةٍ عَالميةٍ تُحدّدُ موقعَ البَلاغةِ في الخِطاباتِ النّقدية ، والفَلسفية ، واللّسانية ، بتَبنيهم مَشارِيعَ مُقترحة لإنتاجِ وجوهٍ متطورة رَحبة تنبثِقُ من فضاءات المُثاقفة ، ولا تنسى أصولها ومنابعها الأولى ، تمخّضت هذه المشاريع عن منظومة من المُتون العربيّة التي غدت ثوابتَ بحثيّة ومنهجيّة مشحونةً بأنساق معرفيّة تبحثُ عن حلولٍ ومعالجاتٍ بنّاءة على نحو منهجٍ رصينٍ ؛ لتأسيسِ خطابٍ بلاغيّ موسَّع ، سليم قائم على الممارسةِ التّواصلية والمعرفة المُعمّقة بالإسهامات الحديثة ؛ لاسيّما الغربيّة منها ، بحيث لايمكن الحكم على تلك المعرفة بأنّها الغاية المرجوة ؛ بل الوسيلة ، وكان من ثمرةِ تلك المثاقفات المعرفية في حقل البلاغة ، قراءات موسّعة لايمكن حصرها في بحثٍ واحدٍ ، نكشفُ عن أبرزها ، وفقًا لنوع القراءة المنهجية المُتّبعة في أسلوب الكاتب ، ونعرضُ أهم مستويات التأثّرِ والتأثير الحداثوي ، ومن ثَمَّ نُحدد الإشكاليات المطروحة والتي شكّلت بمجملها أزمةً في صميم البلاغة العربيّة .

اقتضت تلكَ الطّروحات المَعرفيّة تقسيمَ بحثِنا إلى مَحاورَ رئيسةٍ نظريّة بامتياز ، تَحفُرُ في مَنابعِ ومَنابتَ بلاغيّة مُتأصّلة في صُلبِ عمليةِ القِراءة والتّحليلِ ، تتضمّنُ شروحاتٍ تفصيّلة لبوارد أزمة البلاغة العربية وبواكيرِ ظهورها في الوعيّ المعرفيّ ، وفي الدّرس الأكاديميّ التّعليميّ ، تسبقهُا مُقدِّمةُ تَعريفيّة شمولية في الجِهاز المَفاهيميّ ، لتنتهيَ بخاتمة تُقدِّمُ معالجاتٍ مُقترحة تُسهِمُ في رصدِ أبرزِ مانُوقِش في هذا الفرشِ النّظريّ ؛ لتكونَ محاولةً تقريبية تُضاف إلى سلسلةِ الأبحاث الرّامية لتأسيسِ مرتكزات سليمة في بلاغتنا العَربيّة .

وعَلى مُستوى التَّوثيق اعتمدَ البحثُ لائِحَةَ مَصادِر ومَراجع ذاتَ ارتباطٍ مُباشرٍ بالموضوعِ ، تَمثّلت أغلبها في مُجملِ الدِّراساتِ والمؤلّفات المُتجاوزة للمنظور السَّائدِ لبلاغتِنا العربيّة ، السّاعِيّة في محاولاتها الجّادة إلى بلورةِ نماذجَ مكتملة لبلاغةٍ جديدةٍ ، تتخذُ من البُعدِ الأُسلوبي ، التَّداوليّ ، الحِجاجِيّ مُنطلقًا لها ، في وقتٍ كانت البلاغةُ العربيّة تُعاني من فراغٍ شبهِ تامّ في ميدانِ التّجديدِ والتّحديثِ ؛ إلاّ من بعضِ محاولاتٍ مُتفرّقةٍ توشي بالصراع الحاد بين القديم والحديثِ ، وبعضِ المؤلفات غير الجريئة في حَسمِ الجَّدلِ القَائم في الأوساط المعرفيّة .

توَصّل البحث بعد مخاضٍ طويل ومعاناةٍ من تشتتِ المفاهيم المُصطلحيةِ ، وعدم استقرارها ، إلى أنّ بوادرَ الأزمةِ انطلقت من مقولةِ (لِنُحارِبَ البلاغة) و (الدفاع عن البلاغة) ، واتهامها بالجاهزيّةِ والأحكامِ المُسبقةِ ، فليست الأزمة في طُموحِ البَلاغة نحو إنتاجيّة نماذِجَ كُلّية تُعنى بِبنية الوجوهِ البلاغيّةِ وعلاقاتِها وقَوانينِها ؛ وإنّما في تقصّي مسارِ تحولها مِن الحَقلِ الحَفريِّ إلى تخومِ التَّشكُّل المَعرفيّ الجديد ، واقرارِ خُصوصيّة كُلّ نَصٍ على حِدة ، لدرجةٍ تَجعلُ تناولَهُ بلاغيًّا مختَلِفٌ عن النّصوصِ الأُخرى لُغةً وإجراءاتٍ وأدواتٍ تطبيقيّة .

ولعلّ من الضّروريات التي توصّلنا لها ، هي إثبات الوجوه المُتعدّدة لبلاغتنا العربيّة ، إنطلاقًا من أنَّها تَوصِيفٌ لأجناسِ الخِطاب المتنوّعة ، أدَبيًّا ، سياسيًّا ، دينيًّا ،اجتماعيًّا ... الزَاخِرة بالكُنوز المفاهيمية والإجرائية المُتاحةِ

للتّوسّعِ والابتكارِ والتّوليد الجّوهريّ المُواكِبِ لموجةِ الحداثةِ الغَربيّة .

وعندَ تَشخيصِ الأزمَةِ الحقيقيّة لبلاغتِنا العَربيّة في مَراحلِ تَطوّرهَا المختَلِفةِ ، يصبحُ حقيقاً علينا تفْنيدُ وجهات النّظر الدّاعية إلى إنّ الإشكالَ يكمنُ في صُلبِ البلاغةِ بوصفها خِطابًا وصفيًّا ، وأداةً تحليلية ، وأثباتِ إشكالية لُغةِ الخِطابِ المَوصوفِ ،

بمعنى أنّ الخـلل ليس في الخِطابِ (الناتِجِ) ؛ بلْ في لُغتهِ المُنتِجة ، مما يدعونا للبحثِ والتّنقيبِ عن أدواتٍ بنّاءَةٍ تستمدُ قوّتها من الأصولِ ، تجمعُ بينَ بلاغتي التّأصيلِ والتّجديدِ ، لاتنحرفُ عنهما ؛ إلاّ بالقدرِ الذي يستدعي ضرورة الإشتغال بالعروضِ المطروحة والاقتراضِ منها ، بحسب حاجةِ ذلكَ الخطابِ ؛ ليكونَ منسجمًا مع الواقع المُعاصِر ، وليس بدعوى فقرِ بلاغتنا وعجزها عن التّفريقِ بينَ المنهجِ والفَهمِ الدّقيقِ ، وهذا هوَ مدارُ انشغالِ الصادقينَ المُخلصين من مفكّرينا الباحثينَ عنَ تأريخٍ لاتمحُهُ عقولُ المفلسينَ في كُلّ زمانٍ ومكانٍ ، الحَارسِينَ أسوارَ قلعةِ البلاغةِ العربيّة .

أسألُ الله تعالى القبولَ والتّوفيقَ والسّداد ، إنّهُ وليُّ ذلك والقَادِر عَليهِ .

والحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين

المِحورُ الأوّل : حَفريّات في مَنظومةِ البَلاغَةِ العَربيّة وأنسَاقِها المَعرفيّة :

إنّ تتبُّع الموروث البلاغيّ في سياقاتهِ التاريخية والمعرفيّة ، ورصدِ مستوياتِ تشكّله الأولى ، وربطهِ بالتحوّلات واشتغالاتها اللغوية والجّمالية والأيقونية ؛ لتحقيقِ مُقاربةٍ نسقية للبلاغة العربيّة – يُؤكد بما لايَدَعُ مَجالاً للشَّكِ أن فهمَ السّابق رهِينٌ باستيعاب اللاحقِ ، ويسهمُ في إحياءِ التَّصورِ الحيويِّ الأصيلِ والعميقِ للبَلاغة القَديمة المنفتحةِ على أسئلةِ الحَاضرِ وإشكالاتهِ المُتعدّدةِ ، وتَبقَى التّساؤلات المُتشظّية المركزيّة تُحيطُ بفِكرِنا وتطرحُ نفسَها :

- لِمَ العودةُ للتراثِ البلاغيّ في هذه الفترةِ بالتّحديدِ؟
- وماهي الكيفية التي نقرؤه بها وتُرشدنا إلى إشكالياته المفصلية ؟
- وهل من جديدٍ تفرزهُ هذه الكشوفات القرائية ؟

من الطبيعيّ جدًا أن ينبثقَ على الساحةِ الاعتقادُ السّائد أنّ البلاغة العربيّة إنّما هي مباحثٌ تكميليةٌ تُضافُ إلى الصّنيعِ الأدبيِّ زينةً وتحسينًا عرضيًّا ، وأنّها غير معنيّةٍ

بالمضامينِ والدّلالات الجوهرية ؛ لكنّنا عند التنقيبِ في المنطلقات الأولى للبَلاغة العربيّة تتكشّفُ صورُتها الحقيقية ، وهي : صَنعةُ القولِ التي جُبل عليها اللّسانُ العربيّ الفصيح في صراعهِ بين المُتكلّم والمتلقّي وحَملُ الثّاني على الاقتناعِ وتعدّدِ الرؤى ، ويبدو في مجملها أنّها (ظاهرةٌ إسلاميةٌ لا جاهلية ؛ لأنَّ الإسلامَ كَانَ حَركةَ صِراعٍ بَينَ المُعتقَداتِ ، والصِّراعُ بينَ المُعتَقداتِ هُو مَنبتُ فِكرةِ البلاغةِ ، وَليسَ مِن اليَسيرِ العُثورُ عليهِ في العَصرِ الجَّاهليّ) [١] ، وهذا يؤكّد أنّ البلاغة العربيَّة دينية النشأة ، قرآنية المولد ، درجتْ ونَمتْ في رِحابِ كتاب الله ، قبل أنْ تتناولَ الأدبَ العربيّ بوجهٍ عَام فهي : عِلمُ الذّوقِ والجّمالِ ، والفنّ الأدبيِّ . ونَحنُ إذ نُحقِّقُ مَفهومَ البلاغةِ العربيّة ونؤصّله ، ونرصدُ تطوّرهُ التاريخيّ ، نستقصي بذلكَ تحديدَ المفاهيمِ والخَلفياتِ النّظريّة ، والآليّات التّطبيقية ، والمَقاصِدَ المُحرِّكة للدِّراسات المُعاصرة ، ونثبتُ نسقيتها في منظومة التراث العربيِّ ، ومن أشدّ المظالم التي تعرّضت لها البلاغة الأصيّلة ، وسمُها بالبلاغة القديمة تلك الأصول التي أينعت واستوت على يدِّ شيخ البلاغيين عبد القاهر الجّرجانيّ (ت ٤٧١هـ) ، وفكرهِ البلاغيّ ومقولاتهِ التي اكتسبَت مقامًا فذًّا في الوسط المعرفيَ ، ومنهجًا لفهمِ تراثنا البلاغيّ منذُ القرنِ الخامس الهجريّ إلى يومنا هذا ، ورُدفت تلك الأصول بمسميات شتى مؤطَّرة بـ (البلاغة أو البلاغات الجديدة) ، وما تولّد عنها من بلاغاتٍ مُعاصرة وحداثوية ، ومن أوائل الممهّدين لهذا الشأن الناقدُ المُعاصر عبد السَّلام المسدِّي الذي صرّحَ بأنَّ الأسلوبية (Stylistique) وريثةُ البلاغة القديمة ، بعدَ موتها وانقضاءِ أجلِها ، وَوَصَفَهَا بكونها مجموعة مفاهيم لا تصلح لمقاربة الخطابات بلهجة تَتَجنّى على البلاغة أو تستحضرُ البلاغة الغربية ، وتُقصِي الجّانبَ العربيّ مُطلَقًا ، مؤكّدًا ذلك بقولهِ : (وإذا تَبيَّنا مُسلَّمات الباحثين والمنظِّرين وجَدناهَا تُقرِّر أن الأسلوبيّة ولِيدةُ البلاغةِ ، ووريثتُها المباشرة ، معنى ذلك أنّ الأسلوبية

قامت بديلًا عن البلاغة) [٢] ، وذات المعنى نرصده في تصريحاتِ محمد عبد المطلب المتضمِّنة : (البلاغةُ لم تَعُدْ قادرة على الاحتفاظ بكُلّ حُقوقِها القَديمة التي كانت تُناسبُ فترةً مُعينةً مِن مَاضِينا ، والتي يجبُ على البَاحثِ في الأسلوبيّةِ وضعُها في اعتبارِهِ) [٣] . بيد أننا حين نقفُ في مواجهةِ طودِ التاريخ البلاغيّ الشَّامخِ ، نلِجُ طيّاته ونتصفحُ تفاصيلهُ الدّقيقة ، نجدهُ تاريخًا حاضرًا مُغيّبًا ، حجبتهُ سُحبُ الغمامِ عن زخِّ محمولاته ، ونحنُ حِيالَ ثراءِ المخزون التراثيّ البلاغيّ العربيّ نقفُ عاجزينَ عن المقارنةِ والتّقريبِ بين وجهاتِ النّظر التّاصيلية ، ونَجدُ أنفسنَا أمَامَ تَحدّياتٍ تقتضي مِنّا ضرورةَ إعادة النّظر والتّقييم ، والتّفكيرِ في طُرقِ التّجديد ؛ لأنَّ البلاغةَ القديمة حِينَ يُماطُ عن وجهها لِثامَ الجماليات ، ويُكشفُ عن ألوانِ الهيئاتِ التي تُصاحِبُ السِّياسيِّ ، والدَّاعيةِ الدِّينيّ ، والمُتجبِّرِ الحَاكِمِ ، والخَطِيبِ الذي يُبرِّرُ أفعَالَ سيِّدهِ سُرعانَ ماتتَحوّلُ إلى أنماطٍ مُقولبة يُستعانُ بها عندَ ضروراتِ التَّعبيرِ وحسب.

كُلّ هذا الإبهَام جَعلَ تَعريفَات البَلاغةِ تَتشعّبُ بِمُرورِ الزّمن ، فتَجزّأت ؛بلْ تَقابَلت ، لأنّ البَلاغة التي تَرومُ الإمتَاعَ أو إثارةَ الأهواءِ هِي غَير الأُسلوبيّة ، وغَير الحِجَاج الذي يَستفرِغُ الوسعَ لأجلِ الإقنَاعِ بالأدلّةِ . وَهَكذا أصبحتِ البَلاغةُ حَاضرةً في لُعبةِ الأهواءِ ، وفي الأدبِ ، والّسياسة ، واللّغةِ الطّبيعية ، والاستدلال غيرِ العِلمي ، والرّأي ، وإجادةِ الكَلامِ ، والمُضمَرِ ، والقَصديّة المُتواريةِ خَلفَ المُضمراتِ ، والمَجَازِيّ ، أي : في اللّاشُعور الذي يُشفّر لُغةَ المَجازيّات ؛ فَالبَلاغةُ ، باختصارٍ وبَعيدًا عَنِ الانحِسَارِ، تَزدادُ في الانتِشَارِ؛ ليَكونَ الثّمنُ فُقدانَ وحدَةِ العَقلِ ، ولَعلّ الرّهان اليوم هُو مُحَاولةُ وَضعِ تَعريفٍ مُحدّدٍ جامعٍ ؛ لكنّه مَخصوص، يَحتَضِنُ المُرافعةَ القَضائيّة كَمَا يَحتَضِنُ الخِطابَ الإشهَاريِّ ، ويَحتضِنُ الاستِدلال المُحتَمل كَمَا يَحتضِنُ اللّغةَ الأدَبيّة وصورَ

أُسلوبِها، ويَحتضِنُ بَلاغةَ اللّاشُعور كَمَا يَحتَضِنُ قَواعِدَ النِّقاشِ العُموميِّ ، حيثُ تتَواجهُ الآرَاءُ أو تَتنَافَى بِسببِ الأيديُولُوجيا [٤] .

وقد رافقت النّظرة المُختزلة للبَلاغة العَربيّة ، في أوجِّ عِزِّها في القَرنينِ الرَّابعِ و الخامِس الهِجريين حتى مجيء السّكاكي في القَرنِ السّابع الهجريّ ؛ فانتقلتِ البَلاغةُ من التّذوقِ والفَنِّ كونها الأداة القويَّة التي تُوزنُ بها الأعمال الأدبيّة ، ويُتذوقُ بها الجّمال الفنّي في أداءِ البُلغاء ، ويوازنُ بين مُبدعٍ وآخر إلى الغايةِ التعليمية ، وتعطّلت بقية وظائفها ، وهنا تمرُّ بمنعطفِها الأوّل الذي يُمثّل بِداية الأزمة المرهونة بالتّشكّلِ والوعِيّ المَعرِفِيّ .

المِحورُ الثّاني : مَسَاراتُ المُثَاقَفةِ بينَ بلاغتين ، صِراعُ التَّقليدِ والتّجديد

تُوحي العِبارةُ القائِلة : (لنحارب البلاغة) [٥] ببوادر الأزمة التي أجهضت البلاغة القديمة، وشنّت هجمةَ الحجْرِ والتحجيرِ عليها ، وطرحِ بدائلَ (الأسلوبيّة) و (الحجاجية) و (التداوليّة) التي تستوحي مادتها من صُلب البلاغة الأُم ، إضافةً إلى وصفِ مفاهيمها ومصطلحاتها بالجاهزية التي طالما أرهقتِ اللغة دُونَ طَائِلٍ، غيرَ أن المُتبنِّين لفكرةِ المُحاربةِ والموت غفلوا أو ربّما تغافلوا عن أهم وأخطر إشكال قد تقعُ فيه البلاغة الجديدة ألآ وهو : إشكال التعامل مع المصطلحات الدخيلة الوافدة وترجمتها ، وهو أعقد المعضلات المنهجيّة والمعرفيّة التي تُحيطُ بالبحث المُتشبِّع بالتُّراث البلاغيّ عند توجُّهِ لإستقصاءِ (البلاغة) ومكنوناتها العميقة ، كما تَحدّد في التّقاليد الغربية :

- هل يُترجَم مُصطلح (rhétorique) بـ (البلاغة) ؟ أم بـ (الخطابة) ؟ أم يزاوج بينهما ويُحتكمُ إلى السِّياق ؟ وأنّى لنا عَقد موازنة بين المُثاقفة (Acceleraeion) البلاغية وبينَ أصالة التراث؟

لا يَختلفُ الباحثون على أن عملية اعادةِ قِراءة التُّراث البلاغيّ قراءة مُتأنّية واعية ؛ لاستنباطِ قيمهِ الفكرية بمختلف أنماطها وأشكالها يعد ضرورة نظرية وتحليلية تستدعيها

مسوغات ذاتية وخارجية يطولُ الحديثُ عنها ، وليسَ مقامُها الآن (٦) ؛ لذلك اتّجهتِ خطواتُ الباحثينَ المُعاصرين اتجاهينِ مُتقابلينِ :

أولهما : القِراءةُ التّأويليّة أحاديةُ النّظرةِ للنّص التُّراثيّ البلاغيّ .

وثانيهما : القراءة الشمولية المُتجاوزة للنمط الاختزالي .

وفي سياقِ هاتينِ القراءتين نضجت اجتهاداتٌ وأبحاث ودراسات تقفُ فيها البلاغةُ العربيّة موقفَ الموروثِ الصامدِ المُحاور لِما هو عالميّ كونيّ في بناءٍ مُشتركٍ يُغربِلُ جميع الثنائيات المُنهكة والمُستهلَكة (القديم والجديد ، اللفظ والمعنى ، الأخذ والسرقة ، التأويل والتفسير ...) ، وتسعى إلى نمذجة التّفكير النّقدي وكسرِ قوالبِ المرجعيات المُتصلِّبة ، فهي بذلك ليست تبعيةً وخضوعًا للآخرِ ، أو هيمنةً للتّجديد ، بقدرِ ماتعني الجِّدية في السعيّ ، والغنى والأصالة والتّمكُّن من الأدوات التعبيريّة القادِرة على إنتاجِ بلاغاتٍ حديثة ذاتَ قُدرةٍ وصفِيةٍ عَالية ، تمتدُ عبرَ حدودها إلى استكشافِ مساحاتٍ شَاسِعةٍ في فضاءِ النصوص ، وتمهيدها يتطلب خلفية معرفيّة مَناطُ همِها انتاج (البلاغة الجديدة) وبعده هو صياغة بلاغة عامة للخطابِ (٧) .

ويبقى التّساؤل المحوري الدائم يفرضُ نفسه على الباحثِ المُختصّ والمُهتمّ بالشّأن البَلاغيّ العَربيّ ، وهو : بأيَّةِ شرعيةٍ علميّة يتمُّ التّفاوض بالبلاغةِ ؟ وهل لها شروط وأهداف مُحدّدة ؟

الهُوّيّة والاختلاف هما اللذانِ يفرضانِ طبيعة التّفاوض في الشرعية البلاغيّة بينَ القِدمِ والحداثةِ ؛ والمُراد هُنا هُويّة

الذّات ، وهُويّةُ الآخرين ، في الاجتماعي الذي يُكرِّسهما ، في السِّياسي الذي يُشرعنهُما ، أو يسعى إلى تغييرهما في

أحيانٍ كثيرة ، وفي النّفسيّ والأخلاقيّ اللّذينِ لا يستقرانِ على وضعٍ ثابتٍ مِحدّد . واللّافتِ للنّظرِ هنا أن المَسافةَ الرّمزية التي تُكرّسها البلاغة القديمة التي لانتفق على اصطلاحًا ضِمنًا تتأكّدُ إجرائيًّا بوساطة العلاقات القائمة بينَ أفعَال المُتكلِّم التي لاتخرجُ عَن دائرةِ القَصديّة والإفادةِ ، أو التّأثير و الإمتاع ، فإن من ينتصب لهذه الأفعال خطيباً أو بليغاً لا ينتصب لها إلا بكيفيات ومزايا تتعلق بذاته أو بغيره ، أو بأداة الإبلاغ والتّواصلِ ، ولعَلّ التّركيز على وَاحدةٍ مِن هذه السِّماتِ دُون غَيرها هُو مَانتجَ عنهُ تفريعاتُ البلاغةِ العربيّة إلى فروعٍ مُتعدّدة منها ، بلاغةُ الخِطاب ، وبلاغةُ الحِجاجِ ، وبلاغةُ الجمهورِ، وبلاغةُ السُّلطةِ، وبمجملِ هذه الأنواع التي تنهضُ على مَبدأ الاستِدلالِ الهَادِفِ للإقناعِ والتّأثيرِ بالقولِ الجّيدِ والأُسلوب المنطقيّ ؛ وَمَن ثَمّ فإنّ العِلاقةَ القَائِمة بينَ تلكم الأنواع تتَّسمُ بخَاصيّةٍ إشكاليةٍ ليست خلوًّا من أيّة اختِزَالات ، والتّفَاوضُ في شَأنِ المَسَافة لايكمُنُ بالضّرورةِ في اختِزالِها [٨] .

الحَقيقة المؤكّدة التي لاجدالَ فيها أنّ البلاغة الجديدة تحتاجُ إلى ضبطِ ايقاعِ مفاهيمها المُندرجة تحته فروع كثيرة : كبلاغة الحجاج وبلاغة الصور، أو بلاغة الشعر، وبلاغة التّلقي ، وبلاغة السّرد، وبلاغة النادرة ، والبلاغة الرحبة ....، إضف إلى ذلك حقيقة أن الأسلوبية جاءت بديلًا عن البلاغة ، وضرورةً لابُدّ منها في زَمنٍ تراكمت فيهِ النظرياتُ الفلسفيّة والمقولاتُ الجّمالية والطُّروحات العلمية المختلفة الرّؤى والمُتباينة المناهج والاتجاهات ،لهذه الأسباب قامت الأسلوبية بَديلًا لازمًا ومُلحًا عنِ البَلاغةِ ، إذ إن المحاولات التجديدية التي طبعت الدرس البلاغي في الثمانينات من القرن العشرين إنما هدفت إلى تجاوز الروح الاختزالية التي سادت الموروث البلاغي ، فأفضت إلى إنتاج (بلاغة مختزلة) في اتجاهينِ مُحدّدينِ ، هُما :

١- اتجاه التفكير الفلسفي والمنطقي ذي النزعة التجريبية الذي يحصر البلاغة في الحجاج .

٢- اتجاه الأسلوبيات الحديثة الذي يحصرها في أفانين التعبير [٩] ، وهذا يجعلنا نؤمن إيمانًا مُطلقًا أن بلاغتنا العربيّة القديمة تَدعمُ رغبة الدارسين والباحثين ، وتعطيهم مشروعية تاريخية لبناءِ علمٍ عامٍ للخطاب الشموليّ المُتجدّدد .

المِحورُ الثّالِث : بَواكِيرُ التَّجديد البَلاغيِّ وبَوادرُ الأزمَةِ

يَكشفُ البحثُ التنقيبيّ في تاريخ البلاغة العربية عن ملحظٍ حاضرٍ للكثير من المهتمين بهذا الشأن ، وهو التباسُ مفهوم البلاغة بالفصاحةِ والبيانِ والمعاني والبديعِ ، وعدم الدّقة في تحديد تلك المصطلحات إجرائيًّا في المُدونة البلاغية العربيّة ، وتداخلها واستبدادِ بعضها على بعضٍ ؛ مما سبّبَ إرباكًا مرجعهُ (أن مباحث البلاغة في السِّياق العربيِّ لم تكن في طور النشأةِ محصورةً في ميدانِ البلاغةِ لذاتهِ ؛ وإنما توزعتها علومٌ عربيّة وإسلامية أخرى ، مثل النحو والفقه والكلام والتفسير) [١٠] ؛ من هنا تعالت دعوات التّجديدِ التي لم تتأتّى فجأةً دون مقدمات ، فقد ظهرت بوادرها منذ القرن الثّالثِ الهجرّي حين صدحت قولةُ ابن قتيبة المُتداولة (إنَّ اللهَ لم يَقصرِ العِلمَ والشِّعرَ والبلاغةَ على زَمنٍ دُونَ زمنٍ ، ولا خَبر به قومًا دُونَ قومٍ ؛ بلْ جَعلَ ذلكَ مُشتركًا مقسومًا بينَ عِبادهِ في كُلِّ دَهرٍ ، وجَعلَ كُلَّ قَديمٍ حديثًا في عَصرهِ) [١١] ، شُرّعت بعدها أبوابُ التّجديدِ في البحثِ البلاغيّ على مصراعيها وبما ليسَ لهُ حدٌّ ولا نهاية . فقد انتجت هذه البوادر والبدايات هممًا تَعلو حِينًا وتَخفِتُ أحيانًا ؛ ممهّدةً إلى اعتمادِ البلاغة منهجًا يمسُّ خاصِّية ملازمة للإبداع عِبر آليات التطبيق وأدواته التحقيقية وهي : الفصاحة والبيان والبديع ، فتحولت بعد جيلِ الرُّواد الأوائل : الجاحظ ، وابن المُعتزّ ، وأبي هلال العَسكري ، وعبد القاهر الجّرجانيّ إلى الجمودِ والتقعيد ، على إثرها اندفعت عجلةُ

السَّير للأمام نحو تخصيص البلاغة بالعملية الإبداعية في بعدها الشمولي ، وإكسابها طابعَ الكُلِّية حيث تتجاوز محض الدِّراسات اللّسانية المختزلة إلى آفاقٍ رحبةٍ ، تنطوي على إدراك الفاعلية المُتبادلة بينَ الجّوانِب الأربعةِ للعمليةِ الأدبية .

ولعلّ أبرزُ مقدّمات الأحداث التجديدية التي شهدتها البلاغة العربيّة هي إعادة إحياء التراث العربيّ وقراءته تأريخيًّا على يدّ جيلِ الباحثين المتخصصين ، أبرزهم : شوقي ضيف ، بدوي طبانة ، أحمد مصطفى المُراغي ، إلى أن تغيّر نهجُ القراءةِ مِن توجهها السّياقي إلى النّسقيّ ؛ إيمانًا مِنهم أنّ القِراءةَ التَّقليدية لم تَعُد ذاتَ جدوى في فَهمِ العَقلِ البلاغيِّ العربيِّ ، بعدها انطلقتِ شرارةُ البادرةِ الأولى التي أشعلتِ الحماسَ وأثارت الرّأي العام ، وتلك هي حركةُ ، أو - بالأحرى- معركةُ البلاغة التي حَمِي وطيسُها على صفحات (مجلة الرسالة) (١٢) ، عام ١٩٤٦م ، بين الأستاذ أمين الخوليّ داعيًّا ومُجدّدًا ومُخطِّطًا مَنهجيًّا لبلاغةٍ عربيّةٍ جديدة حينَ جَمعَ آراءَهُ في كتابيهِ : (مناهجُ التجديدِ في النحو والبلاغة والتفسير والأدبِ) ، و(فن القول) (١٣) ، وقد أعلنَ صراحةً الدعوةَ إلى الإنتقال بالدّرس البلاغيّ إلى آفاقٍ أوسع وأرحب ، بإخضاع البلاغة العربية للمنهج الأدبي الفني في الدراسة ، وإحياء منهج المدرسة الأدبية القديمة ، وإهمال الدراسة الفلسفية المستعجمة (١٤) ، وبينَ الطرف المُقابل المُتمثّل بالدكتور علي العماريّ وهو يستعرِضُ مضمونَ رِسالةَ الخُولِيّ ويردُّ على دعواهُ ، مُفنِّدًا وداحضًا ، وتبعهم على النّهجِ نفسه آخرونَ (١٥) .

تلخّصت وجهةُ نظرِ المُحدثين والدّاعينَ للتّجديد البلاغيّ العربيّ في أنّ السّكاكي هو السّبب في جُمودِ البلاغة وتعقيدها ، وبجانبِ هذه النظرة وقفت جبهةٌ أُخرى تخالفهم الرأي وتتبنّى رأيًا غيرَ المطروحِ والمُجمعِ عليهِ ، وهو يُنصِفُ ويدافِعُ ويسوقُ الحِجَجَ والبراهينَ ، مُتمثّلاً بالدكتور أحمد بدوي ، والعقّاد ، يتبعهُم في موقف الدفاعِ وأحكام

البراءةِ من التّقعيد وجمودِ البحثِ البَلاغيّ كُلّ من الدكتور عباس حسن ، الدكتورة سُهير القَلماوي ، والأستاذ أحمد موسى سلامة ، والزّيات [١٦] .

وهذهِ التغييرات في المبادئ والإجــراءات المؤســـسة للبلاغة تـتمُ بين عِبرَ عمليةٍ تأويليةٍ تعتمد مفاهيم الاختلاف

والانفتـاح والإرجـاء ، مُتجاوزةً منطقَ التَّطابقَ والتَّوافق والتَّناسبِ الذي هيمنَ على البلاغة القديمة والكلاسيكية ، وتُشكّل استعادةً لما هو قابلٌ للبقاءِ وللتّحوّلِ بهِ إلى تراثٍ حيٍّ لهُ فاعليتهُ في تحريرِ الإبداعِ من قِيودِ وتحكُّماتِ تَحولُ دونَ تأسيسِ جَمالياتٍ للتَّلقي (والواقعُ أن البلاغةَ القديمة قد بُنيتْ بمنظورٍ تصنيفيّ خالص ، ووقفت مُحاولتُها عندَ وضعِ المَعالمِ وتسميةِ وترتيبِ الأصنافِ المُختلفةِ من الانزياحَاتِ . كانت تلك المَهمّة مُملةً ؛ ولكنـها ضـرورية ، فمن هنـا ابتدأت العُلوم جميعها ؛ لكنَّ البلاغة توقفت عند هذه الخُطوة) [١٧] ، وأسّسَ هذا التّوقف مرتكزًا لبدايةِ أزمةٍ حقيقية في ضوءِ الظروفِ الراهنة التي تمخضّت عنها أنماطُ وافرازات الحَداثةِ ومَا بَعدهَا . وَمهمَا يكُنْ مِن أمرٍ ، فَإنّ تَسَارُعَ التّاريخِ البلاغيّ يَبدأُ بِمَحو الأجوبة الجارية في مكامِنِ العثورِ عنْ بلاغةٍ مُوحَّدةٍ ، لا تُثير مُشكِلاً لِما ستترجِمهُ المجازيّة الشّعرية بشكلِها الحداثِيّ ، وبما ينبغي أن يبتكرَ تناغُمًا جَماعيًّا يؤسس لبلاغاتٍ جديدة حَاملةٍ مُعطَياتٍ صحيحَةٍ ؛ لِذا فإنَّ بَلاغتَنا اليوم بِحَاجةٍ مَاسّةٍ لتَجديدِ خطابِها على المستويينِ : المعرفيِّ والتّعليميّ ، وأوّلُ ما يجبُ عَلينا تَجرِيدهَا مِن أصدِقاءِ السُّوءِ ، واستخلاصِهَا مِن بَراثِنِ العُلومِ التي جَنتْ عَليهَا ، كالمَنطِقِ والفَلسفَة وعِلم الكَلامِ والجَّدلِ والمُمَاحَكات التي بَعُدت بالبَلاغةِ عَن مَيدانِها ، وَبَاتَت البَلاغة – للأسَفِ الشَّديدِ – صعبةً عَلى أبنائِهَا ، ثقيلَةً عَلى أُدبائِهَا ، بَعيدةً عَن نُقادِهَا ، ولتلكَ المسوّغات اقتضى العملُ المُخلِص وقفةً جماعيّةً

لِرجالِ البَلاغةِ ، والمُهتمّينَ بشَأنِها ليُعيدوا النّظرَ في مرتكزاتها ؛ مِن أجلِ تجديدٍ وتطويرٍ لايتعارضُ مع القَديمِ ، ويتوافقُ مع الحَداثةِ ومُتطلباتها الفِكريّة .

المِحورُ الرّابع : رِهاناتُ الحَداثةِ ، الوَجهُ الآخرِ للبَلاغة العَربيّة :

أثارت الحَداثة بوصفها مشروعًا جديدًا يؤطّرُ مفاهيمَ تفسيرية عميقة لاحصرَ لها ، تتمازُ بالمُغايرةِ والعدولِ عن جميعِ المفاهيم التي عرفها التُّراث مُجتمعةً لا فُرادى ،موجةً من الاشكاليات اللامتناهية تعكِسُ تصورًا جديدًا لِنقدٍ شاملٍ للفكرِ الوضعيّ الذي سادَ العلومَ والمَعارِف في حركيّةٍ شديدة التّعقيدِ ترمي إلى التّجديدِ وانتاجِ نماذجَ ذاتَ نزوعٍ تصنيفيّ لم يكن له سابِقُ طرحٍ ، أو صياغة أنساق معرفية تشملُ جميع المناهجِ والمذاهبِ والاتجاهات والنّظريات القابلة للتّأويلِ المُستمرِ ، والتّأطير المُتحوّل وفقًا لتنوّعِ القراءاتِ . والحَداثةُ التي ننشُدُها هنا هي : الحَداثةُ العربيّة القائمة على (الرؤية الشّاملة والأصالة الصريحة والطموح الواسع ؛ لأنّها تؤمن بالحياة وتجددّها وتستمد أصولها من واقع الأُمة وتتفتح على الحضارة الإنسانية وتقتبس منها مايُلائِمها وهي مستمرة لا تقف عند مرحلةٍ ، وإنّما هي سُنّة الحياة فلا حُدود لانطلاقتها المعقولة ، ولا زمن لمسيرتِها الظاهرة ولا سمات ثابتة لها ، إنَّها هُويّة الأصيل ، واستشراق المستقبل) [١٨] التي تسعى إلى صناعةِ وتحويلِ مشروعِ المعرفة من حقلهِ التّنظيريّ المُختزل إلى تخومِ التّشكّلات الجّارية مجرى الدّوال المُتعددة الوجهات ، مبتعِدةً عن كونها (مفهومات جاهزة تُستقى من هنا وهناك ؛ بل هي حـداثةُ رُوحٍ وحداثةُ نظرٍ وحَداثةُ تجربةٍ ، إنّها أُفقٌ مَفتوحٌ لا تحدّهُ مَفهوماتٌ قطعية ثابتةٌ ولا أفكارٌ أُحاديةُ الجّانبِ ، ولا صـراعاتٌ مُؤقتة عابـرةٌ ، إنّها تَجـرِبةٌ حيةٌ للنِـقاشِ ، مِحـورُها سُؤالٌ داخـليّ مُغـلقٌ يوضـعُ أمـامَ ذلكَ الأُفق) [١٩] . كشفت حركةُ الحداثة في متونِ البلاغة العربية المُعاصرة عن كوكبةً من القراءات الفكريّة والثقافية ، الاسترجاعِيّة ، والاستنتاجيّة ، والاستحضاريّة التي مثّلها مفكرونَ

وباحثونَ قدّموا مشارِيعَ مُقترحة لإنتاجِ وجوهٍ متطورةٍ رحبة تبثقُ من فضاءات المثاقفة ، ولا تنسى أصولها ومنابعها الأولى ، تمخّضت هذه المشاريع عن منظومة من المُتون العربيّة التي غدت ثوابتَ بحثيّة ومنهجيّة مشحونةً بأنساق معرفيّة تبحثُ عن حلولٍ ومعالجاتٍ بنّاءة على نحو منهجٍ رصينٍ لتأسيسِ خطابٍ بلاغيّ موسَّع ، سليم قائم على الممارسةِ التّواصلية والمعرفة المُعمّقة بالإسهامات الحديثة ؛ لاسيّما الغربيّة منها ، بحيث لايمكن الحكم على تلك المعرفة بأنّها الغاية المرجوة ؛ بل الوسيلة ، وكان من ثمرةِ تلك المثاقفات المعرفية في حقل البلاغة ، قراءاتٌ نقديّة مُوسّعة لايمكن حصرها في بحثٍ واحدٍ ، نكشفُ عن أبرزها ، وفقًا لنوع القراءة المنهجية المُتّبعة في أسلوب الكاتب ، ونعرضُ أهم مستويات التأثّرِ والتأثير الحداثوي ، ومن ثَمَّ نُحدد الإشكاليات المطروحة والتي شكّلت بمجملها أزمةً في صميم البَلاغة العَربيّة ، وكالآتي :

– الكَشفُ القِرائيِّ الأوّل: القِراءة الوَصفيّة

البداياتُ الأولى للبلاغةِ العَربيّةِ منهَجيًا بداياتٌ وصفِيّة ، تستَنِدُ إلى معايير ثابتةٍ منطلقُها تتبّعُ الظّواهرِ ، ومن ثَمَ رصدهَا ، وتصنيفها وفقًا لإنتماءاتِها وجذورها ، وصولاً إلى تحليلِها وإيجاد التّعليل المنطقيّ لها ، وبحسبِ سياقاتِها ومقاماتِ ورودِها ، والهدفِ المنشودِ من الخِطابِ ، وإبرازِ مظاهر الجمال عِبرَ هذهِ النّماذجَ ، سواءً أكان خِطابًا قُرآنيّاً ، أم شعريّاً ، أم نثريًّا ، ودلائلُ ذلك في تُراثنا البلاغيّ لاحَصرَ لها ، أوجز القولَ في أبرزِها أبو هلال العسكريّ حينَ قالَ : (فلَيسَ لِحُسنِ الاستِعَارةِ وسُوءِ الاستعارةِ مِثالٌ يُعتمدُ ؛ وإنّما يُعتبرُ ذلكَ بِمَا تتقبّلهُ النّفسُ أو تردّهُ ، وتعلَقُ بِهِ أو تَنبُو عَنهُ) [٢٠] . ويمكننُا التّصريحُ مؤكّدينَ أنّ هذهِ النّظرة الوصفيّة لم تدُم طويلاً ؛ لإنّها سرعانَ ماتحوّلت جذريّاً – فيمَا بَعدُ– إلى مسارٍ مختلفٍ تمامًا عن مسارِها الأوّل ، فاتّخذت من المعيّاريّة حاضِنةً لتوصياتِ البحثِ البلاغيّ وقوانينهِ الجّامدة ، تلك المِعياريّة التي

(تَعتمِدُ الشَّاهِدَ الذي يتمُّ اختيارُه بِشَكلٍ عشوائيّ مُتعَسِّفٍ ، يَتوالَدُ وَيتَرَدّدُ مِن مُؤلّفٍ لآخرٍ، دُونَ مُحاولَةٍ لإقامةِ التّوازي بينَ النّظريّة والتّعبيرِ) [٢١] ، فأنصدمت البلاغةُ العَربيّة بالأداءِ الفَنّيّ ؛ بناءً على جاهزيّة أحكامها المُسبقَةِ ، وتشابهها بالجّودةِ والرّدَاءةِ ، والجّمالِ والقُبحِ ، والصّوابِ والخَطأ – رغمَ اختلافِ النّصوصِ– وانشغلَ البلاغيونَ بالتّقسيماتِ والتّفريعاتِ ، وتذوقِ المَعارفِ والفنون الجماليّة عنِ المُكاشفةِ الإبداعيّة للنّصوصِ ، مُتجاهلينَ أنّ النص الأدبيَّ ، فضلا عن الخَطابيِّ والسجاليِّ ، مسكونٌ برهان الإقناع ، مُدرَكٌ قَصدًا أو ضــِمنًا وفق استراتيجيته ، وهوَ رِهَانٌ نَدرَ الالتــفاتُ إليهِ – إلاَّ القِلّة القَليلة (النُّخب البلاغيّة) ممن توخّوا

أصولَ الظّاهرة البلاغيّة في تَضامٍّ عناصرها النّصيّةِ والسِّياقيةِ والتَّداوليّة .

تتَجلّى ملامحُ هذهِ القِراءة واضحةً عندَ أقطابِ الحَداثة البلاغيّة العَربيّة ، ونحنُ نَلمحُ سَعيًا جادًّا لاستكناهِ المُقارَبات البلاغيّة النّقديّة التي يُتوسَّلُ بها الباحثون المُفكّرون ، أمثال : جابر عُصفُور ، مُنذر عيّاشي ، عبد القادر القِط ، حبيب مونسي ، محمد بركات حمدي أبو علي ، عبد المالك مُرتاض ، وما لهم من دورٍ كبيرٍ في تتبُّعِ مَفصليات عمليّة القِراءةِ ، لإكسابِها صفةَ الموضوعية خلال القراءات الوَصفيّة الفَاحِصة ؛ بوصفها أنموذجًا عِلميًّا دقيقًا يَحجِبُ ذاتيّة الدَّارسِ ؛ فَيتِمّ تَحدِيدُ المنهجيّة باستقراءِ القديمِ والحَديثِ ، ورصدِ ملامحهِ الدقيقةِ منذُ البدايةِ ، حينَ أعلنوا ضرورة تسلُّح الناقد بالقراءةِ العَالِمةِ ؛ مِن أجلِ سَبرِ أغوارِ البُنياتِ الدَّالةِ الثّابتةِ والمُتحوّلةِ في الخِطاب ، والتَفتوا إلى بلورةِ التّفكيرِ البلاغيّ ومساءلة النص واستنطاقهِ في ضوءِ رهاناتِ الحَداثةِ ففسّروا تَأثيرَ الأدَبِ بِقُدرتهِ على تَحريكِ طَاقاتِ اللّغةِ الكَامِنةِ واعتِمَادِها في أداءِ المعنى الدَّلاليّ ، وإثارةِ مُحفّزاتِ الإيحاءِ والإشارةِ وتَركِ التّصريحِ ... حَتى لكَأَنّ عَمليةَ القِراءةِ تَتمحورُ حولَ ضروبٍ مِن الاستِبطَانِ الذّاتيّ وتجدُ أنّ لُغةَ النّصِ مُجرّدَ قَادِحٍ تَتَداعَى

لَهُ المَعَانِي في النَّفسِ" ، وهذا الهدف يؤكّدُ على نقطةٍ مفصليّةٍ ، وهي : خُصوصيّة كُلّ نَصٍ على حِدة ، لدرجةٍ تَجعلُ تناولَهُ بلاغيًّا مختَلِفٌ عن النّصوصِ الأُخرى لُغةً وإجراءاتٍ وأدواتٍ تطبيقيّة . ولعلّ من الضّروريات الواجبِ طرحُها هُنا ، هي إثبات الوجوه المُتعدّدة لبلاغتنا العربيّة ، إنطلاقًا من أنَّها تَوصِيفٌ لأجناسِ الخِطاب المتنوّعة ، أدَبيًّا ، سياسيًّا ، دينيًّا ، اجتماعيًّا ... الزَاخِرة بالكُنوز المفاهيمية والإجرائية المُتاحةِ للتّوسّعِ والابتكارِ والتّوليد الجّوهريّ المُواكِبِ لموجةِ الحداثةِ الغَربيّة . وعندَ تَشخيصِ الأزمَةِ الحقيقيّة لبلاغتِنا العَربيّة في مَراحلِ تَطوّرِهَا المختَلِفةِ ، يصبحُ حقيقَاً علينا تفْنيدُ وجهات النّظر الدّاعية إلى إنّ الإشكالَ يكمنُ في صُلبِ البلاغةِ بوصفها خِطابًا وصفيًّا ، وأداةً تحليلية ، وأثباتِ إشكالية لُغةِ الخِطـابِ المَوصـوفِ ، بمعنى أنّ الخلل ليس في الخِطابِ (الناتِج) ؛ بلْ في لُغتهِ المُنتِجة ، مما يدعونا للبحثِ والتّنقيبِ عن أدواتٍ بنّاءَةٍ تستمدُ قوّتها من الأصولِ ، تجمعُ بينَ بلاغتي التّاصيلِ والتّجديدِ ، لاتنحرفُ عنهما إلاّ بالقدرِ الذي يستدعي ضرورة الإشتغال بالعروضِ المطروحة والاقتراضِ منها ، بحسب حاجةِ ذلكَ الخطابِ ليكونَ منسجمًا مع الواقع المُعاصِر ، وليس بدعوى فقرِ بلاغتنا وعجزها عن التّفريقِ بينَ المنهجِ والفَهمِ الدّقيقِ ، وهذا هوَ مدارُ انشغالِ الصادقينَ المُخلصين من مفكّرينا الباحثينَ عنَ تأريخٍ لاتمحُهُ عقولُ المفلسينَ في كُلّ زمانٍ ومكانٍ ، الحَارسِينَ أسوارَ قلعةِ البلاغةِ العربيّة .

الكَشفُ القِرائيِّ الثَّاني : القِرَاءةُ الأُسلوبيّة :

الأُسلوبيّة منهجٌ نَقديٌ تغذّى من البلاغةِ القديمة ، وليس فرعًا من فروعها ، وتَطوّرَ في أحضانِ علمِ اللّغةِ وأحتوى كُل المعارفِ والعُلومِ ، وأدقُّ تعريفٍ لها ماأوردهُ مولينيه ، قائلاً (هي فرعٌ مِن اللّسانياتِ الحَديثة مُخصصٌ للتّحليلات التّفصيليةِ للأسَاليبِ الأدبيّة أو للاختياراتِ اللُّغويّة التي يقومُ بِها المُتَحدِثُون والكُتّاب في السِّياقاتِ والبَيئات الأدبيّة

وغير الأدبيّة) (٢٢) ، ويَعدّها الكثيرون واحدةً من أهم اشتراطاتِ عملية القراءة النّقديّة للبلاغة العربيّة ، ومن هذا الأفق يمكن للقراءة المؤطرة بشروطها المعرفية والمنهجية ، كما في هذا البحث الخصيب ، أن تنتج معرفة نقدية وبلاغية مثمرة ، محفزة للتّجديدِ والحَداثةِ ، بعد أن شَهِدَ البحثُ البلاغيّ في حقبةُ الثمانينيات من القرنِ العشرين ؛ لاسيَّمَا في أواخِرِها تحوّلاً مهمًا على صعيد التّأليف وإنتاجية المعرفةِ البلاغيّة ، ويبدو أنَّ هذا التّحولُ كبيرًا وجذريًا إلى درجةِ إطلاقِ وصفِ (المُنعَطَف البلاغيّ) على مُجمل الإسهامات والتَّوجّهات البلاغيّة عمومًا ، وفي الساحةِ العربيةِ على وجهِ الخصوص. وأبلغُ تلك القراءات الأسلوبية للبلاغةِ العربيّة ، قراءة : الدكتور محمد عبد المطلب حينَ أجابَ عن التّساؤلِ الأثيرِ الذي زَاحَمَ تُخومَ المَعرفةِ قَصَدَ البروزِ على سَاحةِ الفكرِ النّقديَ الحَداثيّ ، مُؤكّدًا أن عمليةَ التّجاذُب في الفِكر النقديّ الحَديث تتَمُّ بينَ طرفينِ مُتوازيينِ (هما : الأصالة والمعاصرة : وهما تيّارانِ لم تَخلُ مِنهمُا مَجالاتُ الفِكرِ النّقديّ والأدبيّ على المُستوى الإنسَانيّ كُلِّهِ ، وَقَد قَامَت حَولَهما دِراسَاتٌ مُوسّعةٌ مُستفيضةٌ أثمرتْ فَيضًا مِن النّظرياتِ والاتّجَاهاتِ ... فأحدثت مُناوشات جدليّة حَولَ المُعاصرة ، وبينَ هذينِ التّيارين نَجِدُ مُبادرةً لهَا أهمّيتها في الإقدامِ على الدّراساتِ الغَربيّة الحَديثةِ ، تأخذُ مِنها مَنهجهَا العِلميّ في إطارٍ مُعتدلٍ) (٢٣) .

أما القِراءةُ الثّانية التي تُضافُ لسلسلةِ الانعطافات في مسيرة البحثِ البلاغيّ العربيّ ، تمثّلت في سَعيّ الدكتور شُكريّ عيّاد إلى تأسيسِ نَظريّة نَقديّة عَربية ، عِبرَ إجراءات الدّمج التّوليفيّ للأُسلوبية القادمة من الغرب في البلاغةِ العربيّةِ القديمةِ ، وانتاج نظريّةٍ مُميّزةٍ ، وتأصيلِ النَّقدِ الأدبيّ في العَالَمِ العَربِيّ . فنجِدهُ يَخوضُ غِمارَ تَجربةِ التّحديثِ بِقلقِ المُؤصّلِ ، جَازِمًا إنّ النّظريات لاتُوضَعُ وضعًا ؛ إنَّما هي فِكرٌ جَديدٌ يَنبثِقُ ثُمّ

يُوصَفُ فِيمَا بَعدُ بالنّظريّة ، وهذا المنهجُ صَنيعةُ الخَارِجينَ على النُّظمِ السَّائدة ، والباحثينَ عَنِ اكتِشافاتِ الحَقيقةِ .

وهذه القِراءة وان لم تكن فريدة تمامًا ؛ لأنّها تعكِسُ جَانبًا بَارِزًا مِن جَوانِبِ الأزمة الثّقافيّة التي يعيشها المُجتمعُ العَربيِّ المُعاصِر، مُصرِحًا بشكلٍ مُباشر بأنّ دَعوى الحَدَاثة العربيّة دعوىً زائفة ؛ مُعلِّلاً ذلك بانقضاء زمنِ رُوادِها الحقيقيّين ، ونَقلِ مفاهيمَ حداثيّة مغلوطة ، حداثة اللّافت ، الغريب ، المُثير ، ويُقاربُ تصريحَهُ هذا موقفهُ الحَازِم من فِكرةِ التّعامل مع رِهاناتِ الحَداثة الغربيّة والكيفية التي يُصاغُ بها المَوروثُ البلاغيّ العربيَ ، فالحداثيّون في نظرِهِ أشدّ التِفاتًا إلى التُّراثِ من أسلافِهم (جِيلُ الرُّوادِ) الّذينَ هجروا إجراءات النّقدَ العَربيّ القَدِيم ، وراحوا يتطلّعونَ إلى أدوات النَّقدِ الأُوروبيّ الحَديث. ولا مجالَ للشّكِ في أنّ المُشكلاتِ القِرائيّة التي واجَهها عَيّاد هي ذاتُها التي اتّسمت بالعُمقِ والشّفافيّة التي يندرُ تقصيّها عند كثيرٍ من نُقّادِ ومُفكّريّ البلاغةِ العربية دونَ مُنَازِعٍ ، أمثال : د. عبد السّلام المسدِّي ، د.عبد الهادي الطّرابلسيّ ، د. صلاح فضل ، د. سعد مصلوح ، لطفي عبد البديع ، د.شفيع السّيّد ، د. محمد أبو موسى ، د.أحمد درويش ، د.فتح الله أحمد سُليمان ، ثُمّ تتابعتِ الدّراساتُ النّظرية والتّطبيقيةِ التي أعطتِ الأسلوبيّةَ أبعَادًا مركزيّةً في الخِطابِ البلاغيّ النَّقديّ الحَداثِيّ .

– **الكَشفُ القِرائيّ الثّالث : القِراءةُ النَّسقيَّة :**

بدءًا لابُدّ لنا من الوقوفِ على مفهومِ النّسقِ ، وتوضيحِ مضامينهِ الدّلاليّة ؛ لربطهِ بالقراءة الحديثةِ الأولى للبلاغةِ ، ففي استنطاقٍ مُجملٍ للبيانات البحثية في هذهِ الثّيمة نجدُ أنّ النّسقَ يرتبطُ إرتباطًا مفاهيمّياً جوهريّاً بالبنية بوصفها كِيانًا عقليّاً أقربُ للتّجريدِ منهُ للتعيينِ ؛ فهي (مجموعة العلاقاتِ المُترابطةِ الحَاكمةِ للعناصرِ الداخلية في اتّساقٍ وانتظامٍ وتوافقٍ يكسِبُ النّسق قيمتهُ التي تُمكنك من التّلذّذِ بالنّص) [٢٤] . وحسبَ

اطّلاعِنا أنّ الكتاب الوحيد الذي أجرى قراءةً نسقيّةً شمُولية للبلاغةِ العربية هو (البلاغة العربيّة ، أصُولها وامتداداتها) [٢٥] ، بدءاً من إرهاصات نشأتها الأولى وصولاً إلى قمة عطاءاتها مع عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني ، فقد تميّز المؤلّف ببراعتهِ في النقدِ والمحاورةِ والتّفكيكِ بالمعنى الدّرايديّ – نِسبةً إلى تَفكيكِيّةِ جاك دريدا – ناقَشَ بمنهجيّةٍ جديدةٍ نسقيّةٍ جميعَ الأُسس النّظريّة للقِراءات المُضطربة بُنيةً واصطِلاحًا ومفهومًا ، والتي تُمَجّدُ عصرَ السّكاكيّ والقزوينيّ . في سِياقِ هذه القراءةِ للتُّراثِ البلاغيّ العربيّ ، والاجتهاداتِ الغربيّةِ الحديثة نَضَجتِ الأبحاثُ المنشورة في كتاب (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول) [٢٦] ، تلكَ البلاغة التي تُقدِّم الحِجَجَ والبراهينَ على إمكانيّةِ صناعة بلاغة حديثة عامّة للخِطابِ الاحتماليّ تخْييلًا وتَداولًا ، وتقِفُ مَوقِفَ المُحاورِ الكُفـءِ في حضورٍ قويٍّ مستمر يعرِضُ المباحثَ تاريخيّا ونظرياً وتطبيقيّاً ، ويُناقش ويُحلّل الفرضيّات ويضعُ المعالجات العميقة ضمن أنساقٍ بنيويّة مُتكاملة .

ونحنُ حِيالَ ثراءِ المخزونِ التّراثيّ البلاغيّ العربيّ نقفُ عَاجزينَ عَنِ المُقارنةِ والتّقريبِ بين وجهاتِ النّظر التّاصيلية ، إلاّ أنّنا نجزمُ بنسقيّة البلاغة الحديثة عِبر القراءات الشّمولية للبلاغةِ العربيّة القديمةِ في امتداديها النّصيّ والتّداوليّ ، مِما يدعمُ الرّغبةَ التي عبَّر عنها الدّارسون المحدثون من مَواقِعَ مُتعددةٍ : لسانيّة (تداوليّة) ، وفلسفيّة (منطقيّة) ، وأدبيّة (شعريّة) في بناء علم عام للخطاب ، وتُعطِيها مَشروعيةً تاريخيةً ومِنهَاجِيّة. وهنا نؤكِّدُ أنّ السّاحةَ البلاغيّة شَهدت تحوّلاً نسقيًّا على صعيد بنية الخطاب الحجاجي المُهيمن إلى التّحسين البلاغي أو البلاغة الشّعريّة ، وإذا كانَ الأمرُ يحتاجُ بالنسبةِ لدارسي تاريخِ البلاغة الغربية إلى منظومةٍ اجتهادِيّةٍ تأويليّةٍ ، فإنّه لايُكلِفُ دارسي البلاغة العربية أكثرَ مِن الخُروجِ عَن إسار البلاغة العربية المُختَزلة في

صياغةِ السّكاكيّ لرؤى الجّرجانيّ ؛ وذلك باستقراءِ منظومة الأصول التي عرضها بلاغيو التّجديدِ والمُعاصرةِ والحداثةِ ممّن كانوا يسيرون بموازاة هذهِ التّوجُّهات والطّروحات ، ولا يكَادونَ يتقاطعونَ مَعها إنْ لَم يَكونوا مَعَها عَلى طَرَفَي نَقيضٍ، وأمثلتُها الكثير مما يصعبُ حصرهُ هنا .

إنّ البحثَ عَن بلاغةٍ عَامةٍ للخطابِ وفق قراءاتٍ نسقيّة شموليّة ليسَ مُجردَ مقترحات لسانية وسميائية تسعى لتقديم نظرية عامة لتحليل الخطاب ، بل هي ترجماتٌ فكريّة معرفية تسعى للنهوضِ بها من واقعها التعقيديّ إلى فضاءاتٍ أرحب ، وتتمثل هذهِ القِراءات في مجمل الدّراساتِ والمؤلّفات المُتجاوزة للمنظور السَّائدِ لبلاغتِنا العربيّة ، وتسعى في محاولاتها الجّادة إلى بلورةِ نماذجَ مكتملة لبلاغةٍ جديدةٍ ، تتخذُ من البُعدِ التَّداوليّ الحِجاجِيّ منطلقًا لها ، بدأت مشروعها البحثيّ التّأليفيّ في أواخرِ القرنِ الماضي ، في وقتٍ كانت البلاغةُ العربيّة تُعاني من فراغٍ شبهِ تامّ ؛ إلاّ من بعضِ مقالاتٍ مُتفرّقةٍ ، وبعضِ المؤلفات التي لاترقى للمستوى المطلوبِ ، لعلَّ أهمها " كتاب في بلاغة الخطاب الإقناعي) * ، وكتاب (دائرة الحوار ومزالق العنف)*، وكتاب(أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) [٢٧] ، وكتاب (الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية) [٢٨] .

المِحورُ الخَامِس : أزمَةُ البَلاغةِ العَربيّة عَلى المُستوى المَعرفيّ (التّنظيريّ) :

أوّلاً : أزمَةُ المُصطلح ، والتّداخل المَفاهيميّ

يُمثّلُ الانشغال بالمُصطلح البلاغيّ العربيّ جُزءًا مُهمًّا من مُرتكزات النّظريّة البلاغيّة الحَديثة ، إذ إن التّمكُّن مِن إدراك المَفاهيم يُسهِم بما لايدعُو مجَالاً للشّكِ في تفسيرِ وتحليلِ وبيانِ منطلقاتِ النّظرية البَلاغيّة ؛ حتى أنّنا نجدُ التَّباينَ والتّعـارُض جَليًّا في تَعريفـاتِ المُصطلحِ الواحدِ ، والظّواهر التي تَندَرجُ في إطارِ كُلّ مُصطلحٍ ، مع

ملاحظةِ الغِيابِ المسافيّ والزّمني لحُدودِ العِلاقةِ بينَ المُصطلَحَاتِ المُتقَارِبةِ ، مما شكّل مُجمل مَظاهر أزمة مُصطلحية . وخيرُ مثالٍ دالٍ على هذا التّباينِ والتّعارضِ الكبير ، هو التّصوّر المَفهُوميّ للبلاغِيينَ العَربِ لمُصطلَحِ الانزياح (Ecart, Deviation) ، الذي شكّل قاعِدةً بلاغيّة ، أسلوبية ، حديثِة ، ومُرتكَزًا مَتينًا ومِحوَريًا لعَددٍ لاحصرَ لهُ مِن المُؤلّفاتِ والأبحاثِ البلاغيّةِ والأسلوبية التي اتّخذَت مِن هذا المَفهومِ مادةً مُصطلحيّة مُوازيةً للأُسلوبيّةِ الأدبيّة.

وعلى استكثارهم من الحدود الاصطلاحية التي تعبر عن مفاهيم متداخلة حينا ، ومتقاربة حينا آخر أفصحَ عنها التّنقيبُ المُوسّع في المُعادَلاتِ العَربيّةِ ، وما لمُ تَقعْ عليهِ من وجوهٍ مُرادفةٍ لذاتِ المفهومِ ؛ فإنَّهم مُجمِعُونَ – ضِمنيًّا – على الرّصيد الهائلِ لهذا المُصطلحِ والذي وَصَل بالجَرد الإحصائي إلى مايَزيد على السّتينَ (٦٠) مصطَلَحًا عَربيًّا ، مع الأخذِ بنظرِ الاعتبار أن المُصطلح الأجنبيّ واحد ، وبإسقاط أكثر من ثلاثةِ أربَاعِ هذهِ المَنظومة المُصطَلحية ؛ لعدم تناسبها مع اللّغةِ محمولاً دلاليًّا مَقبولاً ، ولِمَحدوديةِ قُوتها الاصطلاحية في التّداول ، والكفاءةِ التّعبيريّة لِحُقولٍ دلالية لاتنتَمي للبلاغةِ والأسلوبية ، فتأتي الدّوال على صيغيها المُتداولة في الساحة البلاغيّة والنّقدية ، وكالآتي :

(الانزياح ، الإزاحة ، الانحراف ، التحريف ، الفارق ، الفرق ، المفارقة ، الاختلاف ، الخرق ، الاختراق ، الفجوة البُعد ، الابتعاد ، التّبعيد ، الفاصل ، الشذوذ ، النّشاز ، الفضيحة ، الخُروج ، عدم التّقيد ، نقلُ المعنى ، الاتّساع ، التباين ، التّضاد ، الاختلال ، الإطاحة ، المُخالفة ، الخَطأ ، اللّحن ، اللحنة ، الإخلال ، الخلل ، العُدول، التّجاوز ، المُجاوزة ، الشّناعة ، الانتهاك ، العصيان ، الجنون ، الحماقة ، التناقض ، التنافر ، مَزج الأضداد ، الجّسارة اللغوية ، الغريب ، الغرابة ، الإغراب ، التغريب ،

الابتكار الخَلق ، الأصالة ، الكسر ، كَسرُ البناءِ ، الانكسار ، انكسار النّمط ، التّكسير ، التّدمير ، التّهديم ، التّشويه ، التّفجير ، الاستطراد ، الانحناء ، الانزلاق ، مسافة التّوتر ، التّوقُّع ، الوُقوع ، اللاعقلانية اللغوية ، ...) [٢٩] . وقد ذَهبَ النُّقادُ العَرب إلى تَأكِيدِ أفضَليّة المُصطلح الأساس (الانزياح) ، واعتمادهِ في الدّراسات البَلاغيّة النّقديّة الحديثة والمُعاصِرة إلى (مَا يُميّز بنيته الصّوتية مِن مدٍّ من شأنِه أن يمنحَ اللّفظَ بُعداً إيحائيًّا يتناسبُ وما يعنيه في أصل جذره اللغوي من التباعد والذهاب ، حقاً إن (الانحراف) و (العدول) يتضمن كل واحد منهما مَدًّا ، أنّهُ من لا يتلاءم وما تعنيه الكلمة من معنى . ثم إن الفعل منهما يفتقر إلى ذلك المد الذي تنطوي عَليهِ دلالةُ انزَاحَ) [٣٠] .

ويمكنُنا القَول أنّ قضيّة اضطراب المصطلح البَلاغيّ تندَرِجُ ضمن منظومةِ نقَل وتناقُلِ المفاهيمِ بالمُثاقفةِ والترجمةِ والتّعريبِ ، وهذه المصطلحات المُتعدّدة يمكنُ أن نجدَ لهَا شَفيعًا في أنّ الغَربيينَ أنفُسهم قَد عبّروا عَنِ المَفهومِ الوَاحدِ بمصطلحاتٍ كثيرةٍ يُقارِب عَددها العِشرين مُصطلحًا ، والتي يقصُرها أغلبهم على تحوّلات المعنى ، في حين يستعملهُا آخرون مُرادِفًا لِمُصطلحِ العُدولِ على اتّساعهِ ؛ وبالتّأكيد فإنّ هذه التصورات المفهومية المتباينة للمصطلح تجد أرضية تراثية عربيّة تَستَنِدُ إليها ؛ لأنّ استعمال نُصوص التّراث القَديم في أداءِ الدلالاتِ المُمكنةِ لإضفاء الشّرعية عَلى تصوّرات مفهوميةٍ حديثةٍ ومُتباينةٍ لِمُصطلَحٍ مَا ، أمرٌ مَشرُوعٌ ؛ لكِن مِن الضّروريّ الوعي بأنّ البَلاغةَ القَديمة تَحوي تَنوّعات مُعادلة قد تُنفي هذا التّداخل ، وأوردَ الدكتور يُوسف أوغليسي مسوّغاتٍ عديدة لاصطفاءِ مُصطلحِ (الانزياح) مَركَزيًّا مُعادِلاً موضُوعيًّا للمَفهومِ الغَربيّ ، وتَرَكَ مَادُونَهُ مِن مُرادِفَاتٍ جُزئيًّا أو كُليًّا ؛ بِحَسبِ السِّياقِ الحَاضِرِ، أو بِمُقتَضى غِيَابِهِ ؛ لِمَا "يتميزُ عَن صِنويهِ بمَا يمكنُ تسميتهُ (عُذريّة اصطلاحيّة) أي

: أنَّ دِلالتَهُ لمْ تُستَهلك في حُقولٍ مَعرفيّةٍ أُخرى ، بِخِلافِ (الانحِرَاف) و (العُدُول) اللّذينِ تتَوزعهُما مَجالاتٌ دِلاليّة شَتى) (٣١) .

ثانيًا : التّقاطُع بينَ العناصِر المَقاميّة والعَناصِر التّحسينيّة :

تَتنوّعُ المُقاربات المَعرفية التي تُعالجُ الأبعادَ البلاغيّة ، بينَ الإقناعيّ والأسلوبيّ ، الخِطابي والشّعري ، والحـجاجي والتخييلي ، قبلَ أن تُختزل البَلاغة ، وتتفَصِلُ عن جذورها ؛ لتستَجِدّ أفكار في إطار بلاغات أُخر ، مثل : بلاغة المرئي أو العلامات ، بلاغةُ السيمياء ، بلاغة السلطة ، بلاغة الخطاب ، بلاغة السياسة ، البلاغة الرقمية ، البلاغة التّفاعليّة ، بلاغة الأيديولوجيا ، البلاغة الافتراضية ، البلاغة عِبرَ الثّقافات ، والبلاغة الإدراكيّة ، فثمّة طوفان من البلاغات تُمثّل توجُّهات تحليل الخِطاب ، نمَت وازدهرت في حقولِ البلاغةِ العامّة الحَديثةِ نسبيًّا ، فهي مُتاحة للبحثِ العربيّ في غمرةِ المُنعطفات الثّقافية التي ألقت بظلالِها على الدّراسات العربيّة اللسانية والبلاغية والنقدية . وبِغضِ النَّظر عن التّباين المنهجيّ في الطروحات الضّمنية الواردة في كلّ نوعٍ أو تَصنيفٍ ، فإنّ النقدَ الموجّه إلى عدمِ ارتكاز محور المُقاربة البلاغية ، وثمة رؤى متنوعة يُسلّم لها الواقع الراهن آليات الاشتغال المعرفيّة ، بحيث لاتكادُ تنفصلُ عنهُ ، يرى هيل و هيلمرز (٣٢) ، أنّ دَارسيّ البَلاغة بذَلوا جُهدًا مَحدُودًا للبَرهنةِ عَلى جَدارةِ انتِماءِ دِراسَاتِهم إلى مَجَالِ الدّراسَاتِ البَلاغية ، وليسَ إلى مَجَالاتٍ أُخر ، مثل : السيميوطيقا ، والدِّراسات الثّقافيّة ذات المرجعيّات المتعدّدة ، على سبيل المثال . وقَد أدّى ذلكَ إلى اتِّساعِ مَساحةِ الخَلطِ بينَ هذه المَنهجِيّات وَحُقولِ البَحثِ التي تتّسمُ بقَدرٍ مِن التَّداخل في الأصلِ ، وعَلى الرّغمِ مِن أنّ هيل وهيلمرز يعتقدانِ أنّهُ مِن غَيرِ المُمكِنِ وضع حُدودٍ فَاصِلةٍ بينَ هَذهِ الحُقولِ ، يؤكّدانِ ضرورةَ تَبريرِ البَاحثينَ لادّعائِهم

بانتِمَاءِ البُحوثِ التي تَحمِلُ تسمية (البلاغة العامّة) ، و (البلاغة المُعاصرة) إلى دائرةِ الّدراساتِ البَلاغيّة مابعدَ الحداثةِ .

ثالِثًا: التّجرّدُ والانفِصَالُ من سِياقَاتِها المُتغَايرةِ تَاريخيًّا وأيديولوجيًّا (البلاغَةُ الكُلّيّة):

لاجِدالَ في أنّ البلاغةَ تَجسِيدٌ لنِظامٍ معرفيٍّ يرتَكِزُ جماليًّا على المَنطقِ أو العَقلِ الذي يُمثّلُ النِّظامَ الكُلّيّ للعالمِ ، تبذلُ وسعَها جَاهِدَةً ، شأنهَا شَأن العُلومِ العَقليّة ، إلى مُطابَقَةِ ذلكَ النّظامِ في الخَارجِ ؛ فتكتَسِبُ دَوامَها وبقَاءَها ومركزيّتها ، وتكونُ سُلطتُها اللّازمنية في فَرضِ هَيمنتِها والتّسليمِ بشرعيتِهَا أو صَلاحيتهَا المُطلَقة غَير المَشروطَةِ وغَير المُفتَقِرةِ إلى تَفسيرٍ أو تَبريرٍ (٣٣) . وافتراضُ أنّها مَعرفة نسقيّة ، مُؤلّفة من قَضايا مَنطقيّة تُعبّر عَن فَرضياتٍ ، تجتمعُ فيها الظّواهر وفقَ عَلاقات التّرابطِ والاتّساقِ التي تُمثّلُ شُروطًا داخليّة ، دونَ الالتفاتِ إلى السِّياقِ التّاريخيِّ والحَضاريِّ ، وتَغيّرِ نَسقِ القيمِ العَام ؛ وَدُونَ اعتبارِها نِتَاج مُمارساتٍ فردية تجسِّدُ بِمجملِها رؤيةً جَماعيةً للعَالمِ في لحظةٍ حَضاريةٍ مُحددةٍ ، يؤكّد أنّها نظامٌ بلاغيّ يخضعُ لِمنطقيّةٍ شَكليّة ونَسقيةٍ مُغلقة ، ويَكشِفُ عَن تَورّطٍ في مرتكزاتٍ واضِحةٍ نَابعةٍ مِن رؤيةٍ أيديولوجيةٍ تقضِي باختِزالِ التّعدّدِ ، ونَفيّ التَّغيّرِ والتّبدّلِ ، وإقصَاءِ الفَرديّ الذي قَد يُغامِرُ بإنتاجِ خِطابٍ يَحمِلُ اختلافًا جَذريًّا ، وَمُعَارضةً وتمرُّدًا عَلى المَبادئ والأوضَاعِ والأُصولِ والمُصَــادَراتِ (٣٤) ، وغَير ذَلكَ مِن المَرجِعيّاتِ عَلى كَافّةِ الأصعِدةِ : الدّينيةِ والسِّياسيةِ والفِكريّةِ ، والاجتِماعيّةِ ، أي : دُونَ النّظرِ إليها ضِمنَ نَسقيّة سِيميائيّة دَالة مُرتبطة بتاريخِ الجّماعةِ وتحوّلاتِ أنسَاقِها القِيميّة وأشكَالِها التّعبيريّة ، وكانَ مِن الطّبيعيِّ مَعَ تطوّرِ العِلمِ وتَغيّرِ مَفهومهِ أن تَجِدَ البَلاغةُ نفسَها في عَصرٍ شَهدَ ثوراتٍ عِلميّة وتَطوّراتٍ هَائلةٍ في مُختلَفِ مَجالاتِ المَعرفةِ ، لاسيّما ذاتَ الصِّلة المُباشِرة بالبَلاغةِ ، مِثل : اللّسانيات والسِّيميائيات ، والجّماليات ؛ تَجِدُ نفسَها مَرّةً أُخرى أمامَ مَصِيرٍ مَحتُومٍ.

المِحورُ السَّابِع : أزمَةُ البَلاغة العَربيّة عَلى المُستوى الإجرائيّ (التَّطبيقيِّ)

أوّلاً : إشكَاليةُ العَلاقة بين البلاغةِ والمناهجِ النّقديّة

تُمثِّلُ إشكاليةُ العَلاقة بينَ مَوروثِنا البلاغيّ والنّقدي القَديمِ مِن جِهةٍ ، والاتّجَاهات النّقدية الحَداثيّةِ ومَا بعدَها مِن جهةٍ أُخرى ، واحدةً مِن الإشكَاليّات المُؤرِّقةِ للنّاقِدِ العَربيِّ الذي يَحرِصُ دَائمًا عَلى تأمينِ ضَمانِ حلقةِ التَّواصُلِ بينَ العُلومِ والمَعارِفِ ، ويبتَعدُ عَن مسوّغاتِ القَطيعةِ المُهيمِنةِ عبرَ مُحَاولات نَقديّة عَربيّة جَادّة ترتَقي بالدّرس البلاغِيّ إلى فضاءاتٍ أرحَب ، تسعى لإيجادِ حَلقَاتِ وَصلٍ بينَ الحُقولِ النّقديّةِ مِن خِلالِ إعادةِ تَفعيلِ وتَلميعِ بعضِ المُصطلحاتِ التُّراثيّة ، وبَثِ روحِ الحَياةِ فيها مُجدّدًا ؛ تمهيدًا لضخّها بِدلالات مُغايرة ومُتقاربة في مُمارَساتٍ تَطبيقيّة حيّة لِنماذِجَ أدبيّة حَديثة [٣٥] ، ضمنَ مشروعٍ حَداثيّ يرصدُ أوّلاً التقاطات الاخفاق الحاصلِ في ميدانِ الدّرسِ البلاغيّ العربيّ تحديدًا . ونتلمسُ نقطةَ البدءِ بانطلاقِ الكثير من مُفكريّ البلاغةِ المرتبطة بحداثةِ عصرِ النّهضةِ إلى تحطيمِ السّرديّات ، والخِطابِ دَاخل بُنية الحَقيقة والرُّؤى الشّمولية البعيدة عن مُتطلبات المَرحلةِ الرّاهنةِ ، والبَحث عَن خِيارات جديدةٍ تشملُ الأهدافَ المُشتركَة لِنقدِ نتاجاتِ الحَداثةِ ومَا بعد الحداثة ، وتطويعُ الأفكار العَالميّة للعَقلِ والعِلم ، والواقع الموضوعي ، واللّغة ، بشكَلٍ يجعلُ الفِكرَ الجديد مُتميّزًا يسِيرُ وعَلى نِطاقٍ واسعٍ بمجسّاتٍ قِرائيّة نقديّة تميلُ إلى الوعيّ الذّاتيّ ، والاتّساع والتّحرر من قيودِ المِعياريّة الصّارِمة ، وبما يُحافظُ على صِلات القُربى والانتماء للجّذور التّراثيّة ، وتَجاوز أزمة القَطيعةِ الثّقافية الرَّاهِنة مَع الآخرِ ، وللخُروجِ من دائرةِ الجّدلِ القَائمِ حولَ المَفاهيم البلاغيّة الكبرى ، واستثمارِها على مستوى التّطبيق الفعلي للوصول إلى نتائج علميّة دقيقة .

قد تُشكّل البلاغاتُ والمَناهج الغربيّة المُعاصرةِ عائقًا أمام النهوضِ بواقِعنا البلاغيّ العربيّ ، ولانعني بذلكَ المَناهج الحَديثة التي ننتَهِجها ، فهي متداولة مادامت قابلةً للتّطور ؛ بل نعني النّظريات المُتَشعّبة والمُتضاربة ، المبنيّة على الاعتقاد أكثرَ مِن بنائِها على التّجارب الحقيقيّة والاستدلال الواقعيّ العَمليّ ؛ لذا من الضروري عدم تمكين تلكم البلاغات والمناهج على نحوٍ يصعب السيطرة عليهِ مُستَقبلًا [٣٦] . ومن مَظاهِر الوَاقع االسّلبيّ للبلاغةِ العَربيّة ، مظهرُ الخَلط الكبير بينَ المصطلحات التّراثيّة والحَديثة ، ونُدرةِ التّعاملِ بمصطلحاتٍ عربيّة لتأديّة المَعاني العِلميّة ؛ عَلى الرَغمِ من الجّهود المبذولةِ من قِبلِ المجامِعِ اللّغويّة والبلاغيّة والنّقديّة ؛ لسَدِّ الفَراغِ الحاصلِ والثّغرةِ التي ظلّت تَنتظِرُ مَن يُعمّقَ النَّظرَ فيها . وحَتّى لانستَغرِقَ في عرضِ مظاهر الأزمة البلاغيّة التي واكبتِ ظروف المُعاصَرَة والحَداثة ، وأذعنت لرِهانات الواقعِ في كُل مستويات الأداء ، نُحددُها بايجازٍ ونتركُ المجَال مفتوحًا لمُناقشتِها في بحوثٍ تكميليّة ، تختّصُ وتُفرِدُ لِكُل إشكاليّة على حِدة بحثًا مُستقِلّاً ، نوجزُ أهم تلكَ المَظاهِرِ على المُستوى التّطبيقيّ (الإجرائيّ) بالآتي :-

أوّلاً : إشكاليّةُ العَلاقةِ بينَ البلاغةِ والمَناهجِ النّقديّة .

ثانيًا : تَعرِيبُ المُصطلَح الأجنبيّ ، والاتّكَاءُ عَلى مُدوَّنةِ المُصطَلحِ العَربيّ التُّراثِيّ في تَرجَمةِ المُصطَلحِ البَلاغيِّ الغَربِيّ.

ثَالثًا : الانحِيازُ لِمبدأ المُشَاركةِ المَفاهيميّة ، وتَجَاوز تَباين البيئات الثّقافيّة والأكاديميّة .

رَابِعًا : الانفِتاحُ اللامَحدود عَلى وَاقعِ المُصطلحِ في العُلوم كُلِّها ،المُختَلفةِ جُغرافيًا وفكريًّا بينَ العالمِ العَربيّ والغَربيّ .

خَامِسًا : اضطِرَابُ في بِعضِ البُنى الاصطِلاحِيّةِ في البَلاغةِ العَربيّة.

سَادِسًا : تَزايد التّلاقُح الثّقافيّ-المُثاقَفةِ-على نحوٍ غيرِ مسبوقٍ في تُراثنا البلاغيّ العَربيّ .

سَابِعًا : تَعَدُّدُ المُقَابَلات ، واتّساعُ المُرادِفاتِ العَربيّةِ للمُصطَلَحِ الوَاحِد.

ثَامِنًا: اجتِهادُ اللّاحِقِ في ابتِكارِ قَائِمةِ مُصطَلَحاتٍ مُغَايرةٍ تَمَامًا لِما استَعمَلهُ السَّابِق .

تاسِعًا : أزمة قصور الفَهم ، أو سوء الفَهم .

عَاشِرًا : اهمال الكَيفِ والاهتمامُ بالكَمّ الانتاجيّ.

أحدَ عشر : سَطحيّة التّفكير وتَجاوز العُمق الضّمنيّ ، معَ غِيابِ الإبداعِ وسيطرةِ الهامشيّ على المَركزيّ .

اثنا عشر : تداخُل واختلاط البلاغيّ واللّساني ، والجَماليّ والتّداوليّ .

- الخاتِمة والنّتائج :

لايُمكن إذن إغفال واقعِ البلاغةِ ومُستقبلِها في ظلّ الوعيّ الجّمعيّ بالتّطورات الحديثة ، وما يُرافقها من اتّساعِ مجالِ عملها وفرضيّاتِها المُحتملة ،لذا توصّلَ البَحثُ استنادًا للقراءات المُدرجة فيهِ إلى جُملةِ نتائجَ دقيقة ، أبرزها :

١- أفرزت مفاهيمُ الحَداثَةِ في الدِّراساتِ البلاغيّة العَربيّة إشكاليّات مُتعددة على المُستويين المَعرفيّ الإدراكي ، والتّعليمي التّطبيقيّ .

٢- الحَداثَة التي ننشدُ تشخيصَ مَلامِحها ، هي الحَداثةُ العَربيّة القائمة على الرؤية الشّموليّة ، والأصالةِ والانفتاحِ على واقعِ الأُمةِ وحضارتها الإنسانيّة .

٣- رِهاناتُ الحَداثة العَربيّة تفرِضُ مشروعًا ذات نزعةٍ تصنيفيّة ، وتؤطّر مفاهيمَ عميقة لاحصرَ لها ، تتمازُ بالمُغايرةِ الجّذريّة للتُّراثِ الفكريّ .

٤- تعكِسُ الحَداثة موجَةً من الإشكاليات اللامُتناهية للتّصور النّقديّ والفِكر الوضعيّ الذي سادَ العُلومَ والمَعارفَ في حركيّةٍ شديدة التّعقيدِ والغُموضِ .

٥- القراءاتُ النّقديّة البلاغيّة العربيّة تحفرُ في منابع ومنابتِ مُتأصّلة في المتون والنتاجات ، لولادةِ نماذج مُكتملة

جّادة تمزج التقليد بالتّجديد ، وتسدّ هوة الفراغ في ميدانها المعرفيّ .

٦- رصدَ البحث في إشارةٍ سريعةٍ بعضَ المُحاولات المُتفرّقة التي توشي بالصراعِ بين القديمِ والحديثِ ، دونَ علمٍ يكفي للخوضِ في ذلك .

٧- شكّلت أزمة المُصطلح البلاغيّ البادرةَ الأولى ، والعقبة الأكثر تأثيرًا على واقعِ البلاغة العربية إلى يومنا هذا .

٨- اتهامُ البلاغةِ العَربيّة بالجّاهزيّة ، والمِعياريّة ، والأحكام المُسبقة ، انتجَ محاولات مثمرة للدفاع العلمي المُدعم بالأدلة والحِجج والبراهين .

٩- ليست الأزمة الحقيقيّة في طُموحِ البَلاغةِ نحو انتاجِ نماذجَ كُلّيّة ؛ وإنّما في تقصّي مسار تحوّلها من الحَقلِ الحَفريِّ إلى تخوم التّشكّل .

١٠- اثباتُ الوجوه المُتعدّدة لبلاغتِنَا العَربيّة ، وتوصيف أجناس الخِطاب ، يستدعي عدم الانحراف للآخرِ ؛ إلاّ بالقَدر الذي يستدعيهِ ، والاقتراضُ مُستَحبٌ بما يحقق الانسجام مع الواقع المُعاصِر .

١١-التفريقُ بين المنهجِ والفهمِ ، هو مدارُ اشتغال الصادقين المُخلصين من مُفكرينا الباحثينَ عن الجِدّة في أحضانِ الأصالةِ .

– المُقتَرَحاتُ والتّوصيات :

أوّلاً : من أجل الإفادة التّامة والاستفادة المُتحقّقة من انجاز الآخر المعرفيّ ، لابُدّ من إدراك دقيق وموضوعي لواقِعنا أوّلاً ، وإيمان واعتقاد جازم به .

ثانيًا : تشكيلُ منظومة بلاغيّة علميّة عربيّة ، تضمّ أجهزةً واعية يُشرفُ عليها أساتذة مُتمرّسون ،لغربلةِ الكمّ الهائل من النتاجِ البلاغيّ العربيّ .

ثالثًا : الدعوة إلى استثمارِ وتوظيفِ البلاغة العربيّة حبيسةُ المُصنّفات التاريخيّة والمدرسيّة ، في حقولٍ أُخر غير الخِطاب اللّغويّ ، مثل المجازات الإشهاريّة في السّينما ، والرّسوم المُتحرّكة ، والفوتوغرافيا.

رَابِعًا : بلورة خُطّة مُستَقبليّة لتعزيزِ التّعاون العَربي الجّمعيّ ، وولادةِ معاجِمَ بلاغيّة نقديّة حديثة موحَّدَة مواكبة للطّفرة العلميّة .

المَصَادر والمَراجِع :

أوّلاً : الكُتب العَربيّة

١-أبو هلال العسكري ومقاييسه النّقديّة : د.بدوي أحمد طبانة ، القاهرة ، ط١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

٢-اتّجاهاتُ البحث الأُسلوبيّ : د.شُكري محمد عيّاد ، دار العلوم للنشر والتّوزيع ، ط١، ١٩٨٥م.

٣-أدبيّةُ النص : صلاح رزق ، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م .

٤-أشتات مُجتمعات في اللغة والأدب : عباس محمود العقّاد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة –مصر ، ٢٠١٢م .

٥-إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقديّ العربي الجديد: د.يوسف وغليسي ، الدار العربية للعلوم ،ط١، ٢٠٠٨م .

٦-أُفق الحَداثة وحداثة النّمط : د.سامي مهدي ، دار الشؤون الثقافية العامّة – بغداد ، ١٩٨٨م.

٧-الأُسلوبيّة : جورج مولينيه ، بيروت –مجد ، ط٢، ٢٠٠٦م .

٨-الأُسلوبية والأسلوب : د.عبد السّلام المسدِّي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٧٧م .

٩-البلاغة :ميشيل مايير ، ترجمة :محمد أسيداه ، مراجعة : محمد الولي ،دار الكتاب الجّديد المُتّحدة ، ط١، ٢٠٢١م .

١٠-البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول : د.محمد العمري، ،أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م .

١١-البلاغة العامّة والبلاغات الخاصّة : عادل المجداوي ، تقديم : د. عماد عبد اللطيف ، دار العين للنشر ، ٢٠٢١م .

١٢-البلاغة العربية ، أُصولها وامتداداتها : د.محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ١٩٩٩م .

١٣-البلاغة العربية قِراءة أخرى : د.محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان، القاهرة، ط١؛ ١٩٩٧م .

١٤-البلاغة القَديمة : رولان بات ، تر : عبد الكبير الشرقاوي ،مطبعة النجاح الجديدة ، ط١، ١٩٨١م.

١٥-البلاغة والأسلوب : د.مصطفى ناصف ، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٢م .

١٦-البلاغة والأسلوبية : د.محمد عبد المُطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٤م.

١٧-الشّعر والشّعراء : اين قتيبة الدينوريّ ، تح : أحمد محمد شاكر ، دار الحديث القاهرة ، ١٤٣٣هـ .

١٨-الصبغ البديعيّ : د. أحمد إبراهيم موسى ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م .

١٩-اللّغة والإبداع ، مبادئ علم الأُسلوب العربي ، القاهرة –انترناشيونال برس ، ١٩٨٨م .

٢٠-بُنية اللُّغة الشعريّة : جان كوهين ،تر : محمد الولي ، محمد العمري ،دار توبقال للنشر ، ط١، ١٩٨٦م.

٢١-بلاغة الخطاب الإقناعيّ نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب : حسن المودن ، دار كنوز، للمعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٤م .

٢٢-بلاغة النادرة : د.محمد مِشبال، أفريقيا الشرق –المغرب ، ٢٠٠٦م .

٢٣-ذلك من تأويله.نحو رؤية جديدة لقراءة النص الأدبي : د.علي حداد ، دار أمل الجديدة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٢٢م.

٢٤-فن القول : د.أمين الخولي ، دار المعرفة ،القاهرة، ط١، ١٩٦١م .

٢٥-كِتابُ الصناعتينِ : أبو هلال العسكريّ ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، القاهرة، ١٩٥٢م ، ص٣٠٩.

٢٦-مدارِسُ البلاغةِ المُعاصرة : مُصطفى الصّاوي الجوينيّ ، دار المعرفة الجّامعية ، ط١، ١٩٩٥م .

٢٧-مُقدّمة ابن خلدون ،الجزء الأوّل من كتابُ العِبر وديوان المُبتدأ والخبر : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تح : المستشرق الفرنسي أ.م.كاترمير ، طبعة باريس ، ١٨٥٨م ، مكتبة لبنان ، ١٩٩٢م .

٢٨-مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب : أمين الخوليّ ، دار المعرفة ، ط١، ١٩٦١م.

ثانيًّا : المَجلّات والدّوريات :

١- الانزياح وتعدّد المُصطلح : أحمد ويس ، مجلة علم الفكر ، الكويت ، مج ٢٥ ، ع٣ ، يناير ، ١٩٩٧م .

٢–الحَداثة وبعض العناصر المُحدثة في القصيدة العربيّة المُعاصرة : عبد الله أحمد المهنّا ، عالم الفِكر ، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب –الكويت ، مج١٩ ، ع٣ ، ١٩٨٨م.

٣–أصالةُ البلاغة العربية : د.علي محمد حسن العمّاري ، مجلة البحث العلمي والتّراث الإسلاميّ ، مكة المُكرّمة –السعوديّة ، ع٦ ، ١٤٠٤هـ–١٩٨٣م .

٤–تقديم كتاب البلاغة العامة : عبد القادر المهيريّ ، حوليات الجامعة التونسية–تونس ع٨، ١٩٧١م.

٥–عن البلاغةِ ، دراسة في تحوّلات المفهوم : مصطفى المُراغي ، عالم الفكر – الكويت ، مج ١٩، ع٣، ١٩٨٨م.

٦–مُشكل العلاقة بين البلاغة العربيّة والأسلوبيات اللّسانيّة :د.سعد مصلوح ، ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النّقديّ.

٧–مِن أجل تلقي نسقي :د.محمد مفتاح ، منشورات كلية الآداب والعُلوم الإنسانيّة ، الرّباط ، ع ٢٤، ١٩٩٣م.

ثالثًا : الكُتب الأجنبيّة :

1- Group Mu ,Rhétorique générale, Edition du seuil, paris ,1982,p :158

2- Landscapes and Gardens, Rockport Publishers, 2002.

3- Bernard cocula,
claude peyroutet, Sémantique de l'image, paris, librairie delygrave, 1986.